الفصل الأول
التربية الجمالية في شعر أدونيس

تمثل التجربة الإبداعية في الشعر عند أدونيس عدة جوانب جمالية استهدفت تنمية وبناء الإنسان من خلال عدة محاور أكدت ذلك .

وقد شملت هذه المحاور في شعر أدونيس **الآتي:**

العلاقة بين فلسفة التربية الجمالية والإبداع الأدبي والإنسان ، قيم التربية الجمالية في شعر أدونيس **والتي شملت :**

الجمال وقيمة الحياة ، الجمال وقيمة الوعي ، الجمال وقيمة المقاومة ، الجمال، والتجدد ، الجمال والمستقبل ، الجمال والانتماء ، الجمال وقيمة اللغة ، الجمال وقيمة التنوير ، الجمال وتجاوز المألوف ، الجمال وقيمة الوجود .

وتطرح التربية الجمالية في شعر أدونيس معارضة المؤسسات القمعية بصورة الإنسان من حيث هو ذات حرة ، ويقدم أدونيس في شعره الشكل الأمثل ، حيث يقدم صورة جدلية للإنسان ، بمعنى أن الإبداع الشعري يفك قيد الاستلاب ، وفي نفس الوقت يعكس العذاب السائد في وجود مستلب للذات ، أي يطرح لنا الكراهية والقلق بجانب حب الوجود والطمأنينة ، فالتشكيل الجمالي عنده يتم بموجب قانون الجمال ، وهو جدل الإثبات والسلب ، الحضور والغياب ، وتحت سلطان قانون هذا الشكل يمكن تشخيص أشد أنواع العذاب مع إمكانية استخلاص متعة منه .

obeikan.com

وقد قدم البحث العديد من النماذج الشعرية لأدونيس تتوجه بشكل أساسي لتربية جمالية فاعلة من خلال الاحتفاظ بالعلاقة الحسية بين الإنسان والعالم والعلاقة الروحية بين الإنسان وما تدركه حواسه .

obeikan.com

المبحث الأول

المقدمة :

هناك علاقة عضوية بين الأدب كفن والجمال كعلم ، ويؤكد ذلك إقبال الناس على تذوق الأدب والتمتع بجمالياته عبر العصور ، ويؤكد هذا الإقبال الحب الفطري للجمال بمجرد الإحساس به. وتحمل اللغة على عاتقها مهمة إظهار هذا الجمال ، فهي النسق الرمزي الأكثر إثارة للدهشة والإعجاب ، والذي أبدعته البشرية، ولما كانت اللغة هي وعاء الإبداع الأدبي حيث تفصح عن القضايا التي تنبثق منها أليا بوصفها معاير للجمل . فإنها بذلك تمنحنا الخبرة الجمالية من خلال حصولنا على إشباع من رؤيتنا للروابط بين العمل الأدبي، وكذلك حصولنا على متعة من خلال رؤيتنا للكيفية التحى يقوم بها هذا العمل وذلك من خلال الشكل والأسلوب ، الذي ينشاء بفعل التكنيك الفني الذي يحتوى علاقات يتم تكوينها لإظهار البعد الجمالي داخل العمل الأدبي . وتعاظم إحساس الإنسان بالجمال كخطاب تأويل يسبق المعرفة، فإن اللغة الجمالية تبدى ما قد خفي ، فتولد لدى الإنسان القدرة على التفسير الذي يصادف نشوة إبداعية في ذاته، حيث يقدم تفسيرا ملائما وأحادي المعنى للوقائع من خلال تذوق الجمال وانفعاله الوجداني الذي يستغرقه في حضرة النص الأدبي .

وتلعب العملية الإدراكية لدى الإنسان دورا كبيرا في تناهى الإنسان مع التربية الجمالية، حيث يكون تفسير الأشياء ورؤيتها غرضاً للاهتمام الإدراكي الخاص الذي يحمل الإنسان إلى إدراك الجماليات بكل صورها المختلفة ، فلم كان الأديب يمثل العالم إنما يبتكر عالماً خاصاً مصاغاً برؤية جمالية مؤثرة بالابتكار

والإبداع حيث يضع الأدب في إبداعه العملية الحسية لدى الإنسان محوراً للعمل. يمكن تشكيله بحيث يقوى على استيعاب معطيات الإبداع الجمالي، لذلك فإن الدلالة الواضحة لمثل هذه الإستراتيجية (هي أن الهدف الأقصى لا يقع في العمل نفسه أو في التفكير فيه، بل يكمن في علاقة نمط الوجود مع العالم الذي يثيره العمل أي رؤية الجمالي، كمنظم للتجربة الحياتية اليومية، وقدرته على تحقيق ذلك فعلاً)[1]

والجمال شيء يحس في كل الاحايين ، وذلك بدرجات متفاوتة ، ولكنه يستحيل وصفه بصفة دائمة وثابتة ، ومن ثم يصعب تحديده ، فالإحساس بالجمال من الأدب بصفة خاصة ، والفن بصفة عامة يختلف من شخص إلى أخر ، ولكن الشيء الوحيد الذي يتفق عليه الجميع أنه إحساس ممتع يثير البهجة والانشراح والشفقة في النفس ، ويود الإنسان أن يعاود هذا الإحساس من حين إلى آخر لأنه يساعده على تحمل متاعب الحياة ، ومواجهتها بصدر رحب [2]

وقد نشأ علم الجمال في حضن الثقافة اليونانية القديمة ، وقد أهتم به سقراط وأفلاطون وأرسطو على اعتباره فرعاً من فروع الفلسفة ، فقد بحثوا في ماهيته ووضعوا له الحدود ، والتقسيمات ، وتشير الكتب التي اهتمت بفلسفة الفن وعلم الجمال إلى بداية هذا العلم في المحاورة التي جرت بين سقراط وتلميذه (هبياس) وذلك عندما سأل سقراط تلميذه قائلاً [3] :

ـ ماذا عسى أن يكون الجمال ؟

وأجاب (هبياس) بأن راح يعدد له بعض الأشياء الجميلة . ومن ثم فقد لفت سقراط نظر تلميذه إلى أنه لم يكن يسأل عن " الجزئيات " التي تنطبق عليها صفة الجمال ، وإنما قصد وراء سؤاله : معرفة ذلك "المدرك" الكلى الذي نسميه (الجمال) وإنما تنحصر مهمتها في تعريف ماهية الجمال .

وقد تطور علم الجمال بعد ذلك في الثقافة الأوربية تطوراً كبيراً ، وبخاصة في القرنين التاسع عشر والعشرين على أيدي الفلاسفة ، والمفكرين ، وتنوعت اتجاهاته ومدارسه حسب فلسفة كل فيلسوف ، وكان من الطبيعي أن يهتم الفلاسفة بفلسفة الفن وعلم الجمال ، ومدى تأثير ذلك على الإنسان لذلك درسوا الظاهرة الجمالية ، وكيف يتم النفاذ إلى باطن العمل الفني لمعرفه قدرته على تنمية الذوق . وتعديل السلوك .

كما أخذ علم الجمال مسارات جديدة لدى الفلاسفة المحدثين ، فبعضهم اعتبر دراسة علم الجمال مجرد دراسة تجريبية للذوق الإنساني ، والبعض الآخر يحولها إلى دراسة لسيكولوجية الإبداع الفتى والتذوق الجمالي ، والبعض مما يهتمون بشئون تربية الإنسان والتفسيرات الاجتماعية ربطوها بالنشاط الحضاري الذي يصاحب الإنسان ، وغدت دراسة تعنى بالتربية الجمالية في حد ذاتها باعتبارها نشاطاً إنسانيا يؤكد حرية الفرد وقدرته الإبداعية .

والعمل الأدبي رافد من روافد التربية التي تعلىّ من قدر الإنسان وتسمو به ، والأدب يحمل في طياته وتوجهاته القيم التربوية الخلاقة التي تبنى الإنسان وتساعده على تحمل مصاعب الحياة ، ومواجهة تقلباتها والدفع بحياته في الاتجاه الصائب . والعمل الأدبي الجيد لابد أن يشتمل على ضرب من التناغم الزى تشع من خلاله القيم : إذ يتم التوافق في صميم الموضوع الجمالي بين رغبة الأديب في الإبداع الأدبي من جهة ، والنتيجة المحققة من جهة ، ومن ثم يمكنا الكشف عن ما في العمل الأدبي من إبداع للشكل والنوع والجمال [4] .

وقد عنى الباحث بدراسة التربية الجمالية في شعر أدونيس ، لأن الشعر يفسر طبيعة أسمى وأقدس ما في داخلنا . وهذه الأشياء وغيرها مما يتصل بالوجود الإنساني في أخص خصائصه ، قد أفصح عنها بكل جلاء أولئك الشعراء الذين وهبوا حساسية زائدة وخيالاً خصباً، فأثروا الحياة إبداعاً وجمالاً وتربية فكانوا هداة للناس ومبشرين بغد أفضل ، وقدموا في أعمالهم كثيراً من المضامين التربوية التي لا غنى للإنسان عنها .

المشكلة :

تشير التربية الجمالية في دلالتها إلى أنها جانب ثقافي قادر على تحرير الإنسان ، لأنه يترك للأشياء ،وجوهها الفريدة ، كما أن هذا الجانب الثقافي يكشف عن حضور كيفي للأشياء ، وبذلك فهو تأكيد وبلورة لكل ما هو نوعي وخاص في مقابل الكلية . وفي ظل المتغيرات العالمية المتلاحقة ، والثورة المعرفية المتزايدة التي يتخلق عنها مجتمعات عديدة يمكن أن يطلق عليها مجتمع المعرفة ، فقد طغى على مجتمعاتنا العديد من القيم التي انتشرت على امتداده أفقيا ورأسياً أزاحت هذه القيم العديد من الرؤى الجمالية ذات الصلة بالإنسان ، وقد تمثل ذلك في طغيان الأوساط المتعددة ، وفقدان القدرة على التأمل ، فخلت حياة الإنسان من بعض قيم الجمال التي لا يمكن للإنسان أن يظل بمعزل عنها . فالجمال يخلق تناغماً تشع منه القيم ، حيث تتحد هذه القيم في سلوكيات الإنسان نحو مفردات حياته ، وطريقة التعاطي معها.

من خلال ذلك حاول الباحث استدعاء بعض قيم التربية الجمالية في شعر أدونيس ، والذي يمتلئ بهذه القيم ، ومن ثم فقد تمثل السؤال الرئيسي **في الأتي :**

س : ما ملامح التربية الجمالية في شعر أدونيس ؟

وتتطلب الإجابة على هذا السؤال الإجابة عن الأسئلة **الآتية :**

(1) ما العلاقة بين فلسفة التربية الجمالية والإبداع الأدبي والإنسان ؟

(2) كيف يمكن الكشف عن التربية الجمالية في شعر أدونيس **من خلال :** الجمال وقيمة الحياة ، الجمال والمستقبل ، الجمال وقيمة الانتماء ، الجمال وقيمة اللغة ، والجمال وقيمة التنوير ، والجمال وقيمة مجاوزة المألوف ، الجمال وقيمة الوجود .

(3) النتائج التوصيات ، المراجع .

أهمية الكتاب:

تمكن أهمية الكتاب في كونه يحاول الإمساك ببعض قيم التربية الجمالية في شعر أدونيس كونه شاعراً مبدعاً يحمل مشروعه الشعري رؤى جمالية تتصل بحياة الإنسان وسلوكياته .

التوجه المنهجي:

يتجه الدارس في هذه الدراسة إلى استخدام المنهج " السيميولوجى " حيث يتعهد هذا المنهج الأمور المتعلقة بالأجناس الأدبية (الشعر ، الرواية القصة القصيرة ، ... إلخ) ويقوم هذا المنهج على مفهوم الأكواد التي يبعث بها النص إلى قارئه ، والذي تقع عليه مسئولية فك شفرة الأكواد و يمكن للكود أن يكون لفظا صريحاً ، أو إيحاء مستتراً ، أو إيقاعاً تنغيمياً ، أو وفقه صوتية ، أو تشبيهاً مجازياً ، أو تركيباً نحوياً ، أو علامة دلالية ، أو مكانية ، أو إشارة إلى معلومة سابقة أو واردة ، أو إحالة إلى معرفة على العهدية ، وتتضافر كل هذه الأكواد في نقل

مضمون النص إلى قارئه . هذا القارئ الذي يستطيع بآلياته الممكنة في فك شفرات أكواد النص ، حيث تكون خلفيته وهدفه الدافع الأساسي من وراء قراءة هذا النص ، ومن ثم يستطيع فهم مضمون النص ممسكاً بدلالات التربية الجمالية ، والتي حملت العديد من الأكواد السابقة ، فكانت بمثابة الكشف الدقيق على مفاهيم دلالة الجمال الشعري ، الذي حمل في طياته آفاقاً متعددة لتربية جمالية أتاح المنهج السيميولوجى للباحث مهمة الوقوف على دلالات التربية الجمالية المنوط الكشف عنها .

ولا يقف الباحث عن هذا الحد في التوجه المنهجي ، إنما سوف يأخذ في الاعتبار التحليل الكيفي لمحتوى النص من خلال القراءة الجيدة المعنية بالبحث عن الدلالة العامة ، والخاصة مروراً بالبحث في البنى السطحية ، والبنى العميقة للنص .

المصطلحات:

(1) **النص الشعري** :

أكثر من مجرد خطاب أو قول لأنه موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية ، التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة لغوية .

(2) **الجمال** :

علم يخرج عن كونه رمزاً يعبر عن حالات وجدانية يمد الإنسان بشحنات وجدانية من أجل العمل على استخلاص معانيها ودلالاتها .

(3) **التربية الجمالية** :

تقوم التربية الجمالية على قيم جمالية ، ليست مسبقة يتم فرضها على الملتقى ، إنما هي بنائية تعمل على تربية ، وتنمية وجدان الإنسان ، وتأهيله

لتهذيب سلوكه ، ورغباته ، وتطلعاته في كيان جديد متجدد ، فالموضوع الجمالي هو موضوع مبدع أو مخلوق من أجل الإنسان ، حيث يكون هو المعادل الموضوعي للعاطفة أو الانفعال، أو الفكرة أو الحدس ، أو الحالة النفسية ، فهو بمثابة تجسيد مادي ، وتحقيق ملموس لحالة من حالات الشعور الإنساني .

الأهداف:

نهدف إلى تأكيد قيم التربية الجمالية في حياة الإنسان والتي بدونها لا يستطيع خلق رؤى استشرافية في حياته ، حيث علم الجمال جانب ثقافي له مقدرة تحرير الإنسان ، لأنه يترك للأشياء وجوهها الفريدة ، وهو يضع مسافة بيننا وبين الأشياء ، والمشاهد ، والكلمات ، كما أنه يكشف عن حضور كيفي للأشياء .

الحدود :

الإبداع الشعري لأدونيس من خلال أعماله الكاملة في الشعر ، وبعض الدواوين الأخرى .

المصادر:

أ- **مصادر أولية :** وهي دواوين أدونيس الشعرية وبعض مؤلفاته الأخرى .

ب- **مصادر ثانوية :** ما كتب عن أدونيس ، وبعض كتب الأدب والنقد ، وبعض كتب علم الجمال .

المباحث :

- ✓ **المبحث الأول :** الإطار العام للبحث .
- ✓ **المبحث الثاني :** العلاقة بين فلسفة التربية الجمالية والإبداع الأدبي والإنسان .

obeikan.com

- ✓ **المبحث الثالث :** التربية الجمالية في شعر أدونيس : الجمال وقيمة الحياة ، الجمال وقيمة الوعي ، الجمال وقيمة المقاومة ، الجمال وقيمة التجدد ، الجمال والمستقبل ، الجمال وقيمة الانتماء ، الجمال وقيمة اللغة ، الجمال وقيمة، التنوير ، الجمال وقيمة مجاوزة المألوف ، الجمال وقيمة الوجود .

النتائج ،المراجع .

أدونيس في سطور :

ولد على أحمد سعيد عام 1930 في قرية سورية ، وفي سن الرابعة عشر قرأ قصيدة وطنية المضمون أمام الرئيس الذي كان يزو مناطق البلاد بعد استقلالها الحديث .

- ✓ منح الصبي منحة ليتابع دراسته ، فدرس الأدب والفلسفة من عام 1950 حتى عام 1954 في جامعة دمشق ، ونشط في الحزب السوري القومي .
- ✓ بعد أن أتخذ اسماً مستعاراً هو أدونيس بدأ يهاجم كل ما هو ثابت في السياسة والمجتمع والأدب العربي ، وكانت النتيجة الدخول إلى السجن ومن ثم المنفي الطوعي إلى لبنان في عام 1956 .
- ✓ كانت بيروت مدينة ثقافية تشكل مع القاهرة وبغداد أحد المركز الأدبية للعالم العربي .

obeikan.com

- ✓ شارك أدونيس في عام 1957 في تأسيس مجلة " شعر " التي أصبحت منارة للإبداع الشعري في الشرق الأوسط ، وشمال أفريقية ، وعرفت بكثير من الكتاب الأوربيين المعاصرين عبر الترجمة .
- ✓ بعد أحد عشر عاماً بدأ أدونيس مجلة ثانية " مواقف " تابعت العمل نفسه موسعة مناقشة قضايا عربية أكثر ضخامة ، وقدمت تصويراً عن الشعرية أكثر جرأة ورؤية .
- ✓ ظهر كتاب أدونيس الشعري الأول عام 1950 ، منذ ذلك الوقت وإنتاجه الشعري في تصاعد مستمر ، وكان في الوقت نفسه يعيد تقيم التراث العربي ، وحصل على درجة الدكتوراه بتقديمه أطروحته (الثابت والمتحول) حللت تاريخ الثقافة العربية من منظور التحول والتغير والإتباع واصلاً إلى نتيجة تفيد أن التيارات المحافظة داخل الإسلام قمعت الإبداع بشكل كارثي ، وقد أصبحت هذه الفكرة محورية في حياته وأعماله .
- ✓ يمتلك أدونيس صلة مع التراث الصوفي ،و يحتفل بما يحبه في الماضي العربي ، إلا أنه يصر على الانفتاح على جميع الثقافات ، وعلى الروح المغامرة للتغير وعلى خلق حداثة عربية متميزة .

الأعمال الشعرية لأدونيس ، التي اعتمد الباحث عليها :

1 ـ المطابقات والأوائل ، دار الأدب ، بيروت 1980 .

2 ـ قصائد أولى ضمن الأعمال الكاملة دار العودة بيروت 1985 .

3 ـ الأعمال الشعرية الكاملة 1985 .

4 ـ أبجدية ثانية دار تويفال للنشر الدار البيضاء 1994.

obeikan.com

5 ـ إذا قلت يا سوريا ، بيروت 1958 .

6 ـ دليلة ، ابن زيدون ، دمشق 1950 .

7 ـ الكتاب أمس ، المكان الآن دار الساقي لندن ـ بيروت 1995.

8 ـ مفرد بصيغة الجمع دار العودة بيروت 1985.

9 ـ الأعمال الشعرية الكاملة دار المدى دمشق 2010 .

كتابات نثرية لأدونيس ، تم الاعتماد عليها :

1 ـ زمن الشعر : دار العودة ، بيروت 1978لأدونيس دواوين شعرية متنوعة الأسماء شملها في أعماله الشعرية الكاملة الصادرة عام 2010 عن دار المدى بدمشق .

obeikan.com

المبحث الثاني
العلاقة بين فلسفة التربية الجمالية والإبداع الأدبي والإنسان

تنطوي التربية الجمالية في الفن بصفة عامة على لوحة مؤثرة وفي الأدب خاصة على عناصر الوضوح من كلمة ملهمة أو صورة أدبية خلاقة ومربية كما تنطوي أيضا في الحياة العامة على سلوك مرغوب ، ومن ثم فإن التربية الجمالية يمكن أن تكون هي الوجه المؤثر والإلهام ، لأن التربية تبدأ حين تبدأ من عنصر مؤثر لطبيعة الوجود البشرى ، حيث تكون التربية خبرة في الزمان ، والمكان ، تتأثر بما عداها من الخبرات البشرية الأخرى.

وبذلك يمكن القول بأن عالم الجمال " ليس بمتأمل تنحصر كل مهمته في الإدراك الحسي ، كما أنه ليس بضمان يصدر بعمله عن إلهام فني ، إنما هو باحث تتمثل وظيفته في فهم الظاهرة الجمالية ، والعمل على توضيحها في أذهاننا.[5]

ولما كان العمل الأدبي يقوم في تكويناته وإبداعه على رؤية جمالية ، تدخل في إطار الكلية للعمل ذاته ، فإن العمل الأدبي يضم في كل مراحله رؤى جمالية تتيح له مهمة التربية التي من خلالها يتفاعل الوجدان مع العمل المبدع ، بذلك يكون علم الجمال ليس علماً معياراً يبين لنا ما ينبغي أن يكون عليه العمل المبدع ، وإنما هو علم وصفي يدرس العمل المبدع باعتباره ظاهرة بشرية تدخل في صميم النشاط

obeikan.com

الروحي للوجود البشرى ، حيث يتم التفاعل مع العمل ذاته ، وما يحتويه من معنى باطن .

ومن الصعب تحديد ما الجمال ؟ لأن الإنسان درج على أن يصف ما يرضيه وما يؤثر فيه ويعجب به بأنه جميل ، حيث يختلف مفهوم الجمال من ثقافة لأخرى ومن بيئة لأخرى ، ومن مدينة لأخرى ، بل الذوق الجمالي بين أبناء الحضارة الواحدة ، وتتعدد أنواع الجمال طبقاً للإبداع والألوان والأصوات والأشكال وتأثير التربية التي تهذب النفس وتعزز المشاعر وتقوم السلوك ، كما أن الأدب يخلق موجودات أشد جمالاً وتأثيراً في النفوس من موجودات العالم الواقعي وتساهم هذه الموجودات في بناء الإنسان وتوجيهه وحثه على الاستمرار في الحياة وتربية ملكاته والرقى بها .

وقد ظهر الاختلاف حول طبيعة الجمال منذ أقدم العصور ، وذلك عندما افترض أفلاطون أن الجمال مثال ونموذج خالد ، يتأمله الفنان في حين ذهب أرسطو إلى البحث في خصائص التعبير الفني الجميل لأن الأعمال الفنية هي التي تدفعنا إلى تذوق الجمال الطبيعي ، وإلى الإحساس بالحياة الإنسانية ، بل أن كثيراً من الانفعالات التي تجرى بباطن نفوسنا قد لا نلتفت إليها لولا أن فجرتها فينا الأعمال الفنية [6]

وإذا كانت بعض الأعمال الأدبية قد صمدت لاختبار الزمن ، ودخلت في دائرة الخلود، فذلك لأنها تجسد حقائق كلية داخل بنيات جمالية شاركت الناس حياتهم على مر العصور وفي مختلف البقاع [7]

وقد غدت دراسة الجمال تعنى بالبحث في العلاقة بين منتج الأدب وجمهوره ، وقد كان ذلك ثمرة من ثمرات اهتمام الأدباء بتضمين إبداعهم رؤى جمالية مربية باعتبارها نشاطاً إنسانياً يؤكد حرية الفرد وقدرته الإبداعية .

والأدب لا يمثل ظاهرة نوعية مستقلة ، بل هي واقعة من وقائع الحضارة أو الثقافة بمعناها العام ، وليس الأدب مجرد دراسة علمية وصفية أو موضوعية للظاهرة الجمالية، تختفي فيها شتى التأملات الفلسفية حول طبيعة الجمال ، وتنعدم فيها كل الأحكام التقويمية ، بل هي أيضا دراسة بشرية عامة تظهرنا على الوظائف التربوية والدينية والقومية والنفعية والوجدانية

أولاً : التربية الجمالية والإبداع الأدبي :

1- التربية الجمالية في الإبداع الأدبي :

يحتوى الإبداع الأدبي عدة مصطلحات تقوم عليها التربية الجمالية وهى :

1. **التشكيل اللغوي** حيث يعين ذلك المبدع على تشكيل عمله الأدبي بطريقة جمالية تنتظم فيها الصور ، وبراعته في استخدام الكلمات ، وتتابع المقاطع ، والقدرة على سير أغوار النص ومحاورة رموزه وفكها .
2. **في مجال الشعر يتم بناء القصيدة على طريقة اللوحة** : وهى تتصل بالتشكيل اللغوي ، فالشاعر الذي يمتلك قدرة بناء القصيدة مثلما يبنى الفنان لوحته فإنه بذلك يضمن القصيدة توجها جماليا متعدد الفهم والجوانب .
3. **الإشعاع الأدبي** : ويستمد هذا الإشعاع قدرته التواصلية على جاذبية الشخصية الأدبية ، والأديب المبدع الذي يملك جاذبية الشخصية ، يتمكن

بسهولة من إدراك كل أدواته التي يستطيع من خلالها خلق وعى جمالي وإدراك لقيمة هذا الوعي الجمالي في تزكية الروح واتقاد العاطفة .

4. **فكـــرة الـــزمن** : وقد تتحول من مجرد فكرة تدل على معنى محدد إلى مصطلح جمالي يسهم في تكوين البناء التربوي لدى الفرد ، حيث يتم انصهار كافة الأدوات التعبيرية ، والتصويرية ، ويدفع ذلك فكرة الزمن لخلق اتجاهاً جماليا مؤثراً .

وتخلص مما سبق أن للإبداع الأدبي بكل تجلياته واحتضان النقد الأدبي له يقف على أرض مشتركة مع " علم الجمال " ، ولما كان الأدب رافدا تربوياً مهماً فإنه بذلك يؤدى دوراً رائداً في بث التربية الجمالية و إشاعتها ، حتى تصير الخبرة الجمالية شأناً تربوياً خالصاً ، وذلك من خلال تذوق الأدب عامة والشعر خاصة ويتطلب ذلك امتلاك القدرة على تذوق الأدب وتحليله تحليلاً منطقياً ، فيكون بذلك تربية الممارسة والمران في نفوس الأفراد هي الطريقة لبلوغ الغاية الجمالية . فالأدب وعاء ضخم يضم قيماً تربويه أصيلة قادرة على تهيئة الأفراد لاستقبال التربية الجمالية لذة وتذوقاً وتهذيباً وسلوكاً .

2 ـ تربية التواصل الجمالي :

تقوم وظيفة الإبداع الأدبي ، وعلاقته بالمجتمع على غرض حقيقي هو التعبير وتربية التواصل الجمالي ، فالأدب نوع من التعبير عن التجارب التي يمر بها المبدع وحياته وأحاسيسه ، وانفعالاته، وما يدور في نفسه وفي عقله من مشاعر وأفكار ، وقراءته لواقع المجتمع ، وظواهر عصره ، وملامح مفرداته ، كما أنه في الوقت ذاته وسيلة لتأدية هذه التجارب والانفعالات ، والأفكار إلى الآخرين ، بنفس القوة التي

يشعر بها المبدع الذي يمر بتلك التجربة ، والإخفاق والفشل في ذلك يعنى الإخفاق والفشل في إنتاج الأدب . وليس المقصود بتربية التوصيل هو توصيل " المعلومات " كما هو الشأن في الكتب العلمية ، وإنما المقصود بتربية التوصيل الجمالي ، هو مدى صدق ذلك العمل الأدبي ، ومدى التحقق من تحقيق دوره التربوي في تأصيل الإحساس الجمالي لدى الفرد ، وقدرة ذلك العمل على تأكيد دور التربية كرسالة تحمل العديد من التوجهات ، قد تهدف إلى الإقناع ، وإلى قبول قضية أو رأى أو حكم والعكس . فالأدب عمل اجتماعي ثقافي إلى جانب كونه نتاجاً جمالياً ، وهذا ليس معناه إخضاع النتاج العقلي للمحكات الجمالية وحدها ، أو إغفال غيرها من المحكات الثقافية والاجتماعية والأخلاقية ، خاصة وأن أداة الأدب هي اللغة والكتابة وهما أداتان اجتماعيتان .

ومما لا شك فيه أن المبدع يأخذ في اعتباره في معظم الأحوال والأفكار والأحكام والقيم التي تسود في مجتمعه ، فضلاً عن الأحكام التي يصدرها القراء أنفسهم على ما يكتب ، فالتفاعل قائم بين المبدع والمتلقي من خلال التأثير الجمالي على الحواس وانفعال الوجدان به واهتزاز المشاعر له ، فالمبدع يلعب دوراً تربوياً إيجابياً يتمثل فيما يثبه من رسائل قيمية يغلفها الجمال أو تجارب إنسانية إلى المتلقيين الذين تصدر عنهم استجابات لهذه الرسائل ، تتمثل هذه الاستجابات في الأحكام التي يصدرونها على ما يكتب ، ومدى الإحساس بقيمة الجمال والتأثير به .

3. التربية الجمالية وتأثير الشكل والمضمون:

يمثل الشكل والمضمون أساساً قوياً في عملية التربية الجمالية في الإنتاج الأدبي عامة وفي الشعر خاصة ، فالشكل هو الصورة التي تحتوى المضمون وهو الإطار الخارجي الزى ينشىء بالإحساس الجمالي ويتم الشكل من خلال تحقق الصورة الخارجية للمنتج الأدبي ، حيث يحقق ذلك انسجاماً في عناصر الوحدة ، كما يساعد تناظر الأجزاء على فاعلية هذه الانسجام الذي بدوره يحقق الغرض الجمالي ، أما المضمون فهو كل ما يشتمل عليه العمل الأدبي من فكر أو فلسفة أو أخلاق أو اجتماع أو سياسة أو تربية أو غير ذلك من الموضوعات ، والشكل والمضمون يشكلان قيمة الإحساس بالتربية الجمالية داخل العمل الأدبي حيث يكون المنتج الأدبي شكلاً مضمونا يحتوى الرسالة الفكرية التي ينشدها المبدع ومهما كانت القيمة الفكرية في العمل الأدبي فإنها تحتاج إلى قالب معين تصاغ فيه الأفكار والأحداث ، فالقصيدة الشعرية على سبيل المثال ليست مجرد كلمات ولا مجرد معان و أفكار وخيال ، ورغم أنها تحتوى ذلك إلا أنها لابد أن تخضع لإيقاع وزنى ، لذلك لابد أن يكون للعمل الأدبي وحدة عضوية شأنه شأن الكائن الحي حتى تكتمل الرؤية الجمالية وتحقق غرضها.

وتقدير الجمال في العمل الأدبي . أن يعتمد على جانب التنظيم أو التشكيل والمعروف باسم الصورة ، هذا بالإضافة إلى اعتماده في الأساس على المضمون الذي يظل عنصراً أساسياً في الإبداع الأدبي .

وقد انقسم النقاط في هذا الشأن إلى مدرستين :

الأولى : مدرسة الشكل ، والثانية مدرسة المضمون ، أخذت كل مدرسة تتعامل مع الإبداع الأدبي وجمالياته بمقاييسها الخاصة ، فمدرسة الشكل تنقى القيمة الفنية في المضمون ، حيث يتم حصر أحكامهم في دائرة الصياغة الأدبية ، وما يتحقق عنها من جمال . ويرى أصحاب مدرسة المضمون أن الأدب كله مضمون ، وقاموا بتحديد المضمون بما يتفق مع الأخلاق ، وبما يبثه من تأثير في النفس ، وتارة بما هو صادق من الناحية الواقعية ، وتارة بما هو جميل من الناحية الطبيعية والمادية (8) .

والمسألة مرتبطة في جذورها بفلسفة إدراك الأشياء ، هل ماهية الشيء متحققة فيه ، أو أن الماهية فكرة منفصلة عن الشيء ؟ أو بمعنى آخر هل المدرك الحي الذي أمامنا يحمل في ذاته حقيقة كافية أم أنه يمثل ظلاً زائلاً لحقيقة منفصلة عنه وبعيدة عن كيانه؟

غير أن أرسطو يرى أن الماهية ليست فكراً منفصلاً عن الأشياء ، والحقيقة عنده كافية في المدرك الحسي الذي ينشىء بالإحساس تجاه الجمال ، ومن ثم فإن جوهر الشيء عنده لا ينفصل عن تحققه المادي ، لذلك كان عالم الشعر عند أرسطو كامناً في المظاهر الحسية ، والذين يدعون إلى الفصل بين الشكل والمضمون ، يعزلون بذلك بين الأفكار والمهايا والمدركات الحسية ، وهذا يقلل بشكل كبير من التحقق الناتج للتربية الجمالية .

ثانياً : الإنسان وفلسفة التربية الجمالية :

يختلف الإحساس بالجمال من شكل إلى آخر وقد ساعد على تنوع هذا الإحساس بالنسبة للإنسان إبداع الأدب الذي أخذ في سياقه العام تنوعاً إبداعياً كان من بينها الشعر الذي يقوم بمحاولة تصحيح نظرة الإنسان إلى الكون فالشاعر العظيم هو من يبلور وحده الكون ومعنى وجوده ، حيث يلعب الجمال فيه دوراً في قبول الإنسان واعتقاده أن الأشياء التافهة والتي تبدو غير مؤثرة في حياتنا ، تبدو عظيمة وذات قيمة وأعماق متعددة .

1. التربية الجمالية وطبيعة الوجود البشرى :

ظل الفلاسفة يعرضون للخبرة الجمالية على ضوء تأملاتهم الميتافيزيقية ، وتأثيراتهم العميقة التي انتقلت إليهم من التراث اليوناني ، وواجهوا المشكلة الجمالية في ضوء فهمهم لطبيعة الوجود البشرى ، ولصلة الخبرة الجمالية بما عداها من خبرات بشرية أخرى ، ومن هنا فقد ظلت فلسفات الفن في القرن العشرين متأثرة بالتيارات الفكرية التي ظهرت في هذا العصر ، مطبوعة بطابع الاتجاه لمذهب كل فيلسوف من الفلاسفة على حده . لذلك كان الأدب الإنساني الناتج والذي ارتبط بطبيعة وجود الإنسان يعتمد على درجة التعادل بين المخصص والمجرد ، وبذلك استطاع الشعر من خلال جمالياته أن يجعل المخصص ، أي الجسم المحدد الذي يخلقه مساويا للمجرد، أي الإحساس الذي يهدف إلى إثارته وقد عنى أدونيس في شعره بتلك الرؤية ، فهو مؤمن أن عليه مسئولية عظيمة خاصة به : إنها المسئولية بأن يكون شاعراً بمعنى الكلمة يمتلك لغة الشعر الفاتح الجميل الذي يحمل نشاطاً فكرياً الذي يحيل عناصر الوعي إلى موضوعات ذات وجود خارجي ،

ومتى ما دخل حيز اللذة الذهبي على هذا النسيج من الأشياء التي يخلقها الوعي فإنه يخلع على العالم المرئي تلك الجاذبية الدقيقة الغريبة التي نسميها الجمال [9]

لذلك تتفاوت وظائف طبيعتنا البشرية في مدى تقديم أكثر تعزيزاً لخدمة الجاذبية الجمالية ، فنجد لذات البصر والسمع والمخيلة والذاكرة هي أكثر اللذات قدرة على التحول إلى موضوعات . لذلك أرتبط علم الجمال بعدة مفاهيم درج علماء الجمال استخدامها مثل مفهوم (التعبير) ، مفهوم (الصورة) ، ومفهوم (الحدس) ، ومفهوم (الرمزية) ، ثم ربطوا علم الجمال بمباحث أخرى مثل (علم اللغة) ، وعلم (النفس) ، وغيرها من العلوم التي تهتم ببحوث الذكاء والعبقرية والإبداع الفني ، وكل ذلك مرتبط بشكل تفاعلي مع طبيعة الوجود البشرى ، ومن هنا يأخذ الشعر سبيله إلى التأثر والإقناع عن طريق الكلمة المؤثرة التي تشكل لذة جمالية تجعل الإحساس بالجمال مرهفاً وتضفي على التفكير قدراً كبيراً من التماسك ليظل الإنسان على وعى كامل بالوحدات والأنماط الجمالية التي يحسها حيث يضفي التعبير الشعري بوحداته وأنماطه جمالاً على موضوعات لا تثير الاهتمام في ذاتها ، وقد تزيد من جمال الموضوعات التي يتحقق فيها الجمال بشكل فعلى .

2. علاقة الإنسان بالجمال:

تختلف علاقة الإنسان بالجمال من إنسان لأخر، من حيث درجة السرعة التي بها يفكر، وسرعة التجاوب وفرز الأفكار حيث يرتبط ذلك بالاستقرار الخارجي لدى المبدع ، وخصوبة التخيل ، وعمقه واتصال خيوطه .

لقد تبين أن سلوك الإنسان له جانبان : جانب متعلق بمضمون السلوك ، وجانب متعلق بشكل السلوك ، فإن يأتي السلوك ذكياً أو غبياً ، أو كئيباً أو مبتهجاً، فهذا ما يخص مضمونه ، ولكن إيقاع هذا السلوك وسرعته ورتابته ، وانتظامه كلها ما يخص شكل السلوك ، أو ما اصطلح عليه بالجانب التعبيري من السلوك ، لذلك فإن العمل الشعري يمضى وفقاً لإيقاع ذو مقاطع شبه منتظمة ،وهذا الانتظام نابع أساساً مما يحمله الشاعر في داخله من أطر عقلية ومزاجية وجمالية واجتماعية[10]

ويمكن تحديد الإدراك الجمالي في علاقة الإنسان به تحديداً يميز بينه وبين الإدراك العقلي (العلم) من ناحية ، وبينه وبين الخلقي من ناحية أخرى من خلال عدة مميزات لابد من توافرها في إدراك الشيء إدراكاً جمالياً :

1. **الإدراك الجمالي قيمة** ، وليس إدراكاً لواقع معين ، والمقصود بالقيمة أنه انعطاف من الذات ، وميل وجداني نحو شيء بعينه .
2. **الإدراك الجمالي** : إحساس إيجابي ، لأنه منصب على الشيء الحسن الماثل أمام الشخص المدرك .
3. **الإدراك الجمالي مباشر** ،لأنه لا يراد به أن يكون وسيلة لمنفعة آجلة .
4. **الإدراك الجمالي** : إخراج للنشوة الذاتية إخراجاً يدمجها في عناصر الشيء وكأنها جزء من طبيعته .

وهذا ما يدفع إلى القول بأننا لا نستطيع الحكم على عمل أدبي ما سواء بالرفض أو الهجوم أو القبول ما لم ندرك كنه الإحساس الجمالي الذي يثيره هذا العمل . لذلك يخضع علم الجمال أفكارنا ومعتقداتنا الأثيرة وإحساساتنا الشائعة

للاختيار الصارم المستمد من الشواهد ، لكي نحدد إن كان الواقع يؤيدها ، شأنه في ذلك شأن أي علم آخر له معاييره وقوانينه الخاصة به [11]

3. الأثر التربوي للجمال على الإنسان :

تأخذ التربية الجمالية في تجلياتها ، الإدراك الواعي لسماحة العقل البشرى ، حيث يقف العقل البشرى أمام الجمال بتقبل واضح يدفعه إلى قبول التعداد ، والمحافظة على سمات الفردية ، فالإنسان أمام الجمال يأخذه العقل والوجدان إلى الفرز ، والاصطفاء من خلال تذوقه ، على هذا الأساس يكون الإنسان المتذوق على قدر كاف من الابتكار ويتم ذلك من خلال احترام ذاته ، وتكشفها ، والتعرف على إمكانياتها من حيث الرؤية البصرية والتقى السمعي ، وقد أعطت التربية الجمالية من هذا المنظور قدراً كافياً من التحقق الفعلي لذاتية الفرد ، تنمو من خلال ذاته في إطار تقويمي مكوناً اتجاهاً مقبولاً لدى الآخرين .

فالتربية الجمالية تساعد الإنسان على انتشال نفسه من الخداع ، لأن الجمال تذوق واستمتاع يدفع بالإنسان إلى الارتقاء بفكره الإبداعي وبإدراكه الأشياء إدراكاً وجدانياً وعقلياً من خلال الاستجابة النافعة حيث تكون طبيعة الجمال كائنة في الإدراك الحسي الذي يصاحبه حكم نقدي ، والإدراك الحسي الممتزج بالحكم النقدي هو إدراك للقيم [12].

ويؤثر الحكم النقدي في تكوين الوعي الجمالي عند الإنسان ، هذا الوعي الذي تكون على مدار سنوات عمره ، ويبدو ذلك في محاولة تلقيه النص الأدبي ، فيستأنف العقل النقدي دراسة الظواهر الفنية المرتبطة بالكلمة كأداة وسيطة في التشكيل والتعبير وصولاً إلى نوعين من القيم في بداية التلقي جمالية وأساسها

النشـوة ، أخلاقيــة وأساسـها التفضـيل ، وهـذان النوعـان لا يسـتندان إلى العقـل بدايـة ، والـذي يـأتي دوره مـن خـلال الاسـتغراق في التلقـي محـاولا الوصـول إلى الإدراك الحسـي ، لأن كـل إدراك حسـي هـو إدراك للجمـال ، يتأمـل العقـل إدراكـا لحقيقتـه مضـافاً إليهـا قيمـة ألبسـها العقـل عليـه، (فالجمـال يشـير إلى فعـل الإدراك)[13]

وتـتم عمليـة الإدراك مـن خـلال الحـواس ، حيـث تعـرف الجماليـات بأنهـا "المعرفة المستمدة من الحواس [14]

فالإنسـان يجـد متعـة جماليـة في النشـاطات الخاصـة بـالحواس والأداء والاستدلال ، في نفس الوقت الذي يقابل فيه الإنسان نوعاً من المتعة يحس أحياناً بنـوع مـن الألم . فهنـاك الألم الجسـدي ، مقابـل الراحـة الجسـدية ، والمـرارة مقابـل الحلاوة ، الرائحة المنفرة مقابل الروائح المتعة المحببة ، والقبح مقابل الجمال ، الحزن والقلق في مقابل البهجة والسكينة [15]

وبـذلك نجـد أن أحكـام العقـل تختلـف عـن الأحكـام الخلقيـة والجماليـة معـاً فـالأولى مـدارها الوقـائع ، والثانيـة مـدارها القـيم الـتي يضـيفها الإنسـان إلى تلـك الواقـع[16]

والجمـال يتميـز بأنـه إدراك لقيمـة ، لا إدراك لواقـع كمـا هـو الحـال في العلـم بأنه إدراك إيجابي مباشر ، لا إدراك للجانب السلبي بطريق غير مباشر هي الحـال في الأخـلاق ، وهـو إلى جانـب ذلـك يتضـمن إخراجـا للنشـوة الباطنـة الذاتيـة إلى الشيء الخارجي ليضيفها إليها ، وكأنها جزء منه [17]

لذلك تتحدد المتعة الجمالية من خلال الطبيعة الخاصة بالتأمل الجمالي، الذي يتم خلاله : التعليق أو الإيقاف المؤقت ،التمايز أو الانفصال العادي بين المشاهد والعمل مصدر المتعة المواجه له ، فالمشاهد والعمل الجمالي ، يكونان شيئاً واحداً ، دون أي شعور بالانفصال بين الذات والموضوع ، لذلك فإن المتعة الجمالية متعة لا موضوع لها ، إنها تنشأ من خلال تلك الوحدة الخاصة بين الشخص المتأمل/ المتلقي ، العمل المبدع ، وهذا المتعة ليست متعة من أجل موضوع معين خارج العمل ،؟ بل هي متعة موجودة داخلة [18]

وقد فطر الإنسان على الميل بوصفه ما يؤثر فيه ويعجبه بأنه جميل ، وعلى هذا الأساس تتعدد أنواع الجمال سواء كانت طبيعية أو إبداعية ، ورؤية الإنسان لما لم يره غيره ، كما أن الشعر يخلق لدى الإنسان موجودات أكثر جمالاً وتأثير في النفوس من موجودات العمل الواقعي ، وهذا يدفعنا إلى التأكيد أن الأعمال الإبداعية وعلى رأسها الشعر تدفعنا إلى تذوق الجمال وإلى الإحساس بالحياة الإنسانية ، بل أن كثيراً من الانفعالات التي تجرى بباطن نفوسنا قد لا نلتفت إليها لولا أن فجرتها فينا قصيدة من الشعر.

ثالثاً : التربية الجمالية والمعرفة :

تعتمد المعرفة على سلسلة من الخطوات ، يتم حدوثها في إطار مجموعة من العمليات المتميزة ، كإدراك وترميز المعلومات ، وتخزينه في الذاكرة ، لتكوين المفاهيم ، والحكم والتفكير ،وإنتاج اللغة واستدعاء المعلومات من الذاكرة وغير ذلك من العمليات، فهذه العمليات تترك آثارها في المعلومات الواردة إليها من المتدخلات الحسية ، ومن ثم في الاستجابة النهائية [19] . وقد أكدت الجماليات

التجريبية أن الخبرة الحسية هي المصدر الأساسي للمعرفة ، ومن فقد أصبح تحديد الخصائص الطبيعية (الفيزيقية) للجمال أحد أهم النشاطات البحثية في الجماليات التجريبية [20]

وتلعب اللغة دوراً أساسياً في عملية المعرفة . كما أن الغرض الأول والأساسي للغة هي المحادثة والحوار فإن الإطار التصويري الذي نشأ وتتطور تحت تأثيرها يعرف بأنه العقل أو التعقل الإستدلالى المنطقي ، واللغة هي الأداة الوحيدة التي لدينا أو نملكها للتواصل العملي والمعرفة العلمية والفكر الفلسفي [21]

وهذا يؤكد ميل الفلسفة إلى البحث عن مناهج جديدة مستمدة من تحليل اللغة ، ودراسة الأدب والشعر ، لذلك فقد كان أهم سمات فلسفة الجمال في السنوات الأخيرة هي اعتمادها على تحليل الخبرات النفسية ، والاعتماد على القدرات التلقائية التي تظهر آثارها في التعبير الأدبي والفني وقد دلل على تأكيد هذا الاتجاه في أوربا ظهور فلسفة (هنري برجسون) (1859ـ 1941)،وفلسفة (بندتوكروتشه 1866 ـ 1952) ، في صدر القرن العشرين ، فكلاهما رأى أن الفن عامة والأدب خاصة ينطوي على نوع معين من المعرفة ، هي المعرفة الحدسية ، وهى المعرفة التي تصل إلى أعماق حقيقة الإنسان ، وتكشف أبعاداً لا يمكن العقل ولا المنطق العلمي أن يفيد منها وقد تعمق هذا الاتجاه بفضل روافد فلسفية لكل من نيتشه ، وهيدجر ، وشوبنهور ، فقد أشادوا بقوى الإنسان غير العقلية وغير النظرية ، وأكدوا قيمة الإرادة ، إرادة الحياة وإرادة القوة ، التي تبنى على المعرفة كذلك أثر الوجدان في عملية الإبداع .

وقد تبلورت هذه الروافد في الفلسفة الفينومينولوجية ، والفلسفة الوجودية حيث تم تناول عملية الإبداع القائمة على المعرفة من خلال الارتباط بالوعي الإنساني ، لأن ذلك الوعي لا يوجد منفصلاً عن الموجودات التي يتعلق بها ، كما أن الموجودات كلها لا وجود لها إلا في وعى وشعور إنساني .

كما أكدت فلسفة كروتشه على دور الخيال الإنساني في الإبداع والتذوق الفني ذلك لأن العمل الفني وأن تجسد في مادة معينة ، قيمته وجوهره في معرفة خيالية يسميها كروتشه بالحدس هي أساس الخلق والتعبير والخبرة الفنية[23] وبذلك تصبح الاستعدادات المعرفية أساساً كافياً ليتمكن الإنسان من خلالها من الاستجابة بطريقة متميزة للإحساس الجمالي .

1. التربية الجمالية وضرورة المعرفة:

تبدأ قدرة الإبداع الأدبي والتذوق الجمالي عن طريق الإحساسات البصرية والسمعية ، ولكنها لا تقتصر على التأثير الحسي وحده ، بل تخاطب الخيال والفكر ، وبقدر ما تعلو الأعمال الإبداعية في القيمة ، بقدر ما تحيا في صدور الناس ، لأن العمل الأدبي متى وجد ، فإنه لا ينتهي ، بل يعاد إلى الوجود على مدى الأجيال والحضارات المختلفة ، فيتجاوز المكان والزمان اللذان وجد فيهما لكي يحقق تواصل الأجيال لتحقيق المعرفة وتنميتها .

والمعرفة على نوعين حدسية ومنطقية ، يتحصل عليها عن طريق الخيال أو عن طريق الذهن ، منتجة ، إما الصور أو التصورات (مفهومات) أحد النوعين معرفة بالأشياء المفردة ، والنوع الآخر معرفة بالعلاقات بينهما وبالذهن تنتهي إلى

obeikan.com

أن"الإنسان حيوان مفكر"، وبالخيال لا تعدو أن نتصور حيوان يتسم بالقدرة على التفكير.

والحس يقوم على الوجه المقابل للانطباع والإحساس ، ومادة الخبرة العارية ، إنه شيء أكبر من الآلية، أو الطبيعية أو السلبية ، إنه التعبير النشط عن انطباعات، فالحدس نشاط تعبيري للروح التي تتذوق الجمال وتنقسم المعرفة الإنسانية إلى علم وفن ، ومهما كانت أوجه الاختلاف والتباين بين الاثنين ، وعلى أساس أنه ليس كل حدس مفهوم ، ولكن كل مفهوم حدس ، على هذا الأساس يلتقي العلم والفن ، فنحن حينما نقرأ مؤلفاً علمياً نبدأ بمحاولة فهم الأفكار أو المفاهيم الكلية بمعنى آخر.

وبعد أن نفرغ من هذا كله ننتقل إلى الشكل لنرى إلى أي حد نجح الكاتب في توصيل الحس الجمالي ، وفي التعبير عن المفاهيم بشكل جمالي ، نبدأ في فحص التنغيم ، ودرجة الاستجابة لهذا وبخاصة في الشعر حيث تؤثر الموسيقى الشعرية في درجة استجابة المتلقي .

والمعرفة ذات اتجاه جمالي ، لأنها تحمل في طياتها بناء الإنسان ، ونظرية المعرفة ليست لذاتها كونها مجرد تفكير ، ولكن التوجه الجمالي يقودنا إلى التفكير في الفكر ، إذا أن نتاج التفكير من معرفة ، بل حتى من علم سوف يكتسب معنى هاماً في نظرنا ، ووجود العلم والمعرفة في الروح البشرية ،هذه الحقيقة وحدها تزيد في مغزاها الفلسفي على الحقائق الأخرى سواء حول الإنسان أو الطبيعة ، والتي يكتسبها عن طريقه دراسة العلوم الطبيعية .

ومن ثم نسلم بضرورة المعرفة ، لأننا لابد أن نعرف لوجودنا التفسير والتبرير اللازمين لحركة الفكر المتناقضتين : الواقعية والمثالية ، إذ أنهما تمثلان إصرارا على التفكير في الفكر ، ثم إنهما تمثلان تقيماً متبايناً للمعرفة وهذا من شأنه التوجه إلى الإنسان الذي يستشعر الجمال فيما يفكر ويبحث .

2- التربية الجمالية والاستجابة الإنسانية :

يستجيب الإنسان لشكل الأشياء القائمة أمام حواسه ، كما أنه يشعر بالتناسق الممتع وهو إحساس بالجمال ، كما أن أذنه تستجيب أيضا لتذوق الشعر، القصة ، الرواية عند السماع .هذا بالإضافة إلى بصره عندما يقرأ فيغلب عليه الإحساس بالجمال عندما يكون قادراً على أن يتذوق الوحدة أو التناغم بين مجموعة من العلاقات الشكلية من بين الأشياء ، التي تدركها حواسنا ، والجمال بذلك هو وحدة العلاقات الشكلية بين الأشياء التي تدركها حواسنا ، والترابط بين النص الذي يبث رؤية الإنسان له من خلال معرفة ذاتية اكتسبها الإنسان على مدار حياته فمفهوم الجمال يتمتع بمغزى تاريخي محدد فقد ظهر هذا المغزى في اليونان القديمة " وأصبح نقطة انطلاق لفلسفة معينة في الحياة ، وقد كانت تلك الفلسفة من الفلسفات التي تطلق الصفات البشرية على الله ،فقد مجدت كل القيم الإنسانية ، ولم تر في الالهه غير بشر تضخمت أحجامهم [24]

لذلك فإن العنصر الدائم في البشرية الذي يتجاوب مع عنصر الشكل ، وبخاصة في الفن هو حساسية الإنسان الجمالية ، إنها الحساسية الثابتة ، أما الشيء المتغير هو الفهم الذي يقيمه الإنسان عن طريق تجريده لانطباعاته الحسية ولحياته العقلية ، حيث يحتوى هذان العنصران عنصر متغير هو التعبير. والتأمل

في القصيدة الشعرية ، وتعرف جمالياتها تفرض علينا الوعي بمسألة " تعظيم الوعي " أي أننا لكي نتعرف على مواطن الجمال في القصيدة الشعرية علينا أن نكون على وعى بمعتقداتنا الأساسية ، فالقيمة الجمالية ليست مطلقة ، بل ترتبط بشخص معين في موقف معين ، كما أنها ترتبط بظرف تاريخي وثقافي محدد ، فالبشر جميعاً يمتلكون بدرجات متفاوتة إمكانية تذوق الجمال ، وأن نمو هذه الإمكانية وتنميتها مرهون بتدريب الذوق الفتى والقدرات التقيمية عن طريق الممارسة سواء في مجال الإبداع أو مجال الاستجابة ، فتدريب الذوق لا يقتصر على الأعمال الإبداعية فقط ، بل يمتد إلى كل مجالات العمل الإنساني المبدع الخلاق ،كما أن إمكانية تذوق الجمال ، وإبداعه تأخذ أصولاً بيولوجية من خلال بيئة تساعده على النمو والازدهار مثل أي إمكانية أخرى .

ويرجع هذا إلى أن النقد الحديث ينظر إلى العمل الأدبي نظرته إلى الجسم الحي ، الذي يعتمد في وجوده على العلاقات العضوية بين مختلف جزئياته مثل الشرايين والأوعية والأنسجة والأعصاب ، والخلايا ، وغيرها من الأجهزة والأعضاء التي تدخل الكائن عالم الحياة العضوية ، فالعمل الأدبي الناضج يعتمد على التفاعلات الحيوية التي تجرى بين خلاياه وشرايينه وعروقه ، بحيث يتحتم أن يكون نمو العمل الأدبي ، وتطوره مثل نمو الجسم الحي دون افتعال أو تصنع[25] . وهذا بالطبع سوف يضفي على العمل الأدبي تناسقاً وتناغماً يوحى بالمتعة والجمال.

وتدخل العوامل البيولوجية في التذوق الجمالي ، فوجود درجة من الثبات النسبي من الناحية البيولوجية ، يصبح مركزاً وأساساً للقيمة في العمل الأدبي وذلك

من خلال الدوافع ، فعلم الجمال يشبه بمعنى من المعاني علم الأخلاق ، فهو علم لا يخضع للقرائن والبراهين القاطعة بصورة تامة ، كما لا يمكن حصره وتحديده في مجموعة من القواعد والقوانين ، وذلك يدفعنا إلى صدق الاستجابة ، وصحتها في مرحلة ما قبل التفكير ، وهى بالضرورة استجابة لا عقلانية . وأن نسلم بأن أحكام القيمة لا يمكن شرحها وتبريرها بصورة عقلانية تامة .فقوة الجذب في التجربة الإبداعية ، هي أهم عنصر فيها ، فالغموض الذي يكتنف تجربة الإنسان وسلوكه على سبيل المثال لا يتبع اشتمالها على عناصر قليلة ، بل من تعدد عناصرها ، وتنوعها ، ومن التعدد والتنوع ، والعوامل التي تشكلهما ، وتحدد مسارهما بصورة محتومة . فالتجربة الإنسانية في الإبداع لا يمكن تبسيطها أو تلخيصها ، وهذا ما يقوى ويساعد على عملية التنمية الجمالية لدى الإنسان ، لذلك فإن استجابة الإنسان للقيم الجمالية تدفعها قيمة هي مجموعة من الاستجابات المتضافرة .

كما تساعد العوامل الأيديولوجية في خلق الاستجابة الجمالية ، فأي شكل جمالي أو نص إبداعي لا يخلو من أبعاد أيديولوجية ، إن أي إدراك فوري لنص إبداعي لا يخلو من تضمينات أيديولوجية تغيره من داخله ، فالإدراك الجمالي يتضمن بعداً إيديولوجيا ، فيتم إعطاء الإدراك الجمالي أشكالاً وأبنية تتصل هي ذاتها بأنماط الإدراك السائدة .

ويشكل عنصر التعليم جانباً أساسياً في عملية الإحساس بالجمال ، هو أكثر ما يكون حاضراً في عملية التواصل والأخذ والعطاء ، هذا بالإضافة للأنظمة الرمزية السائدة في المجتمع . ويساعد التعليم على جعل الأحكام الجمالية أحكاماً إيجابية ، لأنها تنطوي على إدراك ما هو خير ، فالحكم في حالة إدراك الجمال ينبع

بالضرورة من ذات الموضوع ، ويقوم على طبيعة التجربة المباشرة : فكل ما هو قيم حقيقية ، لابد أن تكون قيمته في ذاته ، فالشيء النافع خير لما يترتب عليه من نتائج حسنة ، تؤدى إلى الخير ، إلا أن هذه النتائج لا يمكن أن تظل طوال الوقت مجرد وسائل نافعة أو حسنة ، وإنما لابد أن تصل في نهاية الأمر إلى الخير الذي هو خير في ذاته ولذاته [26] .

ويعرف الخير من خلال المعرفة ، لذلك فإن الخبرة الجمالية تنطوي على بعد معرفي ، ليس بمعنى توصيل أفكار أو تصورات ، بل المعنى الذي نفهم منه المعرفة بوصفها ضرباً من التنظيم أو الصياغة لمعطيات الشعور في صورة كلية .فالمعرفة في هذه الحالة ، تكون معرفة بالشعور نفسه، ويكون الجانب الوجداني للعالم هو موضوع هذه المعرفة . وبذلك يتحول الشعور من خلال المعرفة الجمالية (بمعنى المهارة ، والصياغة الفنية) إلى قيمة جمالية ، يتم فيها اكتساب المبادئ الفاضلة من الخير والحق والعدل والصدق ، وهذه الفضائل حساسية خلقية وليدة التدريب الخلقي الواعي ، ولأنها أشد فاعلية في إيجاد الخير في المجتمع من الفضائل الأخرى التي تتسم بالجهد ، فهي أكثر منها ثباتاً وأسهل انتشاراً ، إنها جوهر النبل والخير ، وهى العنصر الجمالي الذي يتطلبه الخير الخلقي [27] .

لذلك فإن النص الأدبي الناتج وبخاصة القصيدة الشعرية تعتمد على معرفة الشاعر الواعية تماماً بالوسائل الضرورية لتحقيق غاية جمالية معلومة تتأصل من خلال أداته المعرفية كي تحقق استجابة إنسانية قادرة على تأكيد المتعة الجمالية التي تتمثل أساساً في التوصيل الذي لا يقتصر على إيصال بعض المعاني ، لكنه يحرك الخيال عند المتذوق بحيث يدخله في تجربة سيكولوجية تعيد تنظيم إحساساته في شكل جمالي لم يسبق له التمتع به.

3 - التربية الجمالية والوجدان الشعري والرموز:

بدأت بذور وجذور علم الجمال في تراثنا العربي في مسألة الرموز الفنية عند فلاسفة المتصوفين ، وبخاصة عند " محيى الدين بن عربي " في فتوحاته المكية، وقد اهتدى ابن عربي إلى نظام رمزي كامل ،طبق على الفكر واللغة ، ووصل من خلاله إلى كشوف فكرية وفنية كبيرة ، فقد كان يسعى للوصول إلى علم الباطن ، ليكون طريقة إلى الروح الأعظم وسر الأسرار ، الذي كان الهدف من مكابداته الصوفية وأشواقه الروحية .

والرمز أحد رموز التجربة الشعرية النابعة من وجدان الشاعر وقد ارتبط هذا الوجدان ارتباطاً وثيقاً بعملية الإبداع ، ومن ثم تثرى التجربة الجمالية (رمزاً ، وإبداعاً) ، فالوجدان الشعري يرتبط بالإحساس المرهف والشعور الجاد بعمقه ويمكن أن يتم تميز الوجدان الشعري الذي يتم العملية الجمالية بعدة سمات هي في الأصل سمات جمالية تنطق من خلال الصورة الشعرية ، وما تحمله من تفجر ، وشحنات وصور ورموز وهذه السمات هي :

1 ـ صفاء النفس وتوق العاطفة والروح الإنساني الذي يحتضن الوجود بما يحتوى من كائنات ومفردات في الكون .

2 ـ صدق الموهبة وزيادة ثقافتها ، والتمكن من الأداة الفنية مضافاً إلى ذلك التأمل الدائم في مرائي الوجود والطبيعة ، وقراءة الوجود من حولنا .

ويستدعى ذلك إلى التعامل مع العمل الشعري ، دون التقيد بصورة سابقة أو بنمط فكرى معين ، أو مذهب سياسي أو اقتصادي ، أو عقيدة من العقائد ، لأننا نتعامل مع النص الشعري برؤية جمالية ، تتطلب الدخول إلى القصيدة الشعرية بتجرد من الأفكار السابقة ، حيث يتم التعامل مع القصيدة بالمقاييس الجمالية ،

وهذا لا يعنى التنكر للظروف السياسية والاقتصادية والنفسية للشاعر، فلا شك أن هذه الظروف تؤثر تأثيراً عميقاً بصورة أو بأخرى على الأعمال الشعرية ، تشكل طابعها العام وملامحها الأساسية ، وتميز تقاليدها الجمالية في عصر عن عصر آخر.

ولكن هذا التأثير لا يكون بصورة مباشرة ، فقد يكون بذرة صغيرة تنمو داخل التجربة الشعرية ، وتحول مسارها وجهات متعددة، وقد يكون هذا التحول ملائما لطبيعة هذه الظروف ، وقد يكون على النقيض منها ، وقد يكون مزيجاً مركباً من هذين النقيضين . المهم أن الشعر عندما يصيغ تجربته الشعرية، لا يصوغها من جزئيات العالم الخارجي بطريقة مباشرة ولكنها تتحول بجزئيتها ، وعناصرها داخل جهاز إبداعه الشعري صورة جمالية ، هذه التحولات المركبة المعقدة ، ثم يزداد عن تعقيدها بما يحيط بها من عناصر الإبداع الأخرى غير المنظورة ، والتي ترجع إلى طاقة الشاعر وموهبته . بذلك فإن التعامل مع النص الشعري لكشف رموزه ومحاورته ، وتذوقه بهدف الوصول ، إلى كيفية إتمام عملية التربية الجمالية والكشف عنها ، يتطلب طرح الأفكار السابقة ، والدخول مباشرة إلى الكشف عما في القصيدة من توجه تربوي جمالي ، حيث يعطينا وجدان الشاعر آلية الوصول إلى كل القيم الفكرية والجمالية ، وقد تكون هده القيم من عالم السياسة أو عالم الاجتماع ، أومن طبيعة النفس البشرية ولذلك سوف يتم التعامل مع شعر أدونيس من خلال تلك الرؤية ،لأن الوجدان الشعري يجمع في إطار واحد بين كل جوهر متعددات ، ولكنها تتفاعل وتتوحد ، وتتحول إلى معيار واحد ، هو الوجدان الشعري الذي يتيح عملية الجمال.

ويمتلك أدونيس القدرة على رسم قصيدته كلوحة جمالية تقتحم وجدان المتلقي ، فأدواته التي يبنى بها قصيدته : هي الحروف والألفاظ ، والمقاطع ، والشاعر الذي يمتلك هذه القدرة يستطيع أن يشكل قصيدته في إطار الجمال مخاطبا العقل والوجدان منتمياً للذات البشرية من خلال تتابع الحروف ، وانتقاء الألفاظ والمقاطع ، يستطيع أن يحدث ظلالاً وفراغات ، ومساحات جمالية ، مفجرا فيها ضوء الدهشة والإعجاب والاستمتاع باللذة التي تستحوذ على مشاعره . فأدونيس له قدرة ذلك بالإضافة إلى أنه يستحوذ من خلال أدواته على مساحة القصيدة فيدرك مفهوم توازنها والتباين والتدرج والإيقاع ، التماثل في الإطار العام الذي يشكل فيه القصيدة ، بذلك تتحول هذه القصيدة إلى لوحة جمالية قادرة على النفاذ إلى مشاعر الفرد ، مقتحمة للوجدان منمية القدرة على التذوق .

obeikan.com

المبحث الثالث

قيم التربية الجمالية في شعر أدونيس :

أولاً : الجمال وقيمة الحياة:

ينتج النص الشعري ظواهر شعورية ، وهو أمر ضروري في عملية الإنتاج الشعري ، لذلك كان على كل استطيقا جادة أن تأخذ في الحسبان جذور المشاعر والإدراكات الحسية تبدو مزودة بشحنات وجدانية وتميل إلى أن تتأسس وفقاً لعلاقات الشعور ، والخبرة الشعرية تكون مكونة تفاعلات الشعور ، لذلك فأدونيس في شعره لا يغفل هذا الجانب ، لأن الشعور يؤدى دوراً مهماً في العملية الجمالية . وهذا لا يمنع التواصل مع العنصر المعرفي .

كما أن في الدراسات التأويلية أن المعنى ليس صورة للحس المباشر وإن تفاوت مستوى الحضور لأحدهما في اللغات الاصطلاحية ، أو الاصطناعية فليست اللغة إظهاراً للمحسوس بواسطة التجريبي وإنما هي الظهور بذاتها وفي ذاتها، إن اللغة الاصطناعية انزياحاً عن لغة الاستعمال ، فإن لغة الشعر هي الصدى المتقادم يحمل آثار المعنى المبدئي ، قبل أن يستمد وهم الحقيقة بالحقيقة ، والعقل الأول بالعقل الأول [28]

فما يدعم وهم انزياح لغة الشعر عن لغة الاستعمال ، وهو التداخل بين اللغة والشعور ، فالشعور قوة كامنة في الذات ، ترفع اللغة إلى الشعور مما يعطى الذهن اللغوي ، والخيال الشعري على وجه الخصوص صورة جمالية ، تحمل اقتداراً على تركيب الجمل وتوليد المعنى أو المعاني تاركة خلفها البعد الواحد في استقراء

obeikan.com

المعنى الشعري مما يؤدى إلى انطلاق الأفق المعرفي ليكون ذلك بعداً جمالياً متعدد المعاني لوجود النص الذي يفتح آفاقاً تتعدد **منها :**

1 ـ الدلالة الشعرية كباعث جمالي كوجود يظهر في بداية التعامل مع علاقات الدوال بالمعنى .

2 ـ الدلالة الشعرية كباعث جمالي : " عدم " كونها مسكونة باللامعقول الذي يظهر بعضه ، ويختفي الأخر.

3 ـ الدلالة الشعرية كباعث جمالي: " موجود " كونها ترتبط بضمير ينكشف ويحتجب في اللحظة ذاتها .

1 ــ التأمل الجمالي في عالم الحياة اليومية :

الدال الشعري باعث الجمال " موجود " بدءاً بالانكشاف ، أي بما يظهر بما يعبر عنه في اللحظة ذاتها ، وهو عدم لأنه يكسب النص الشعري طابع الانفتاح الدائم على زمن أو أزمنة قادمة ، وهو مشروط بالوجود الأول ، وهو موجود لأنه مرتبط بتواصله مع الوجود والعدم الشعريان ، الظهور والاحتجاب تلك هي الدلالة الشعرية باعثة الجمال عند أدونيس ، وجود ، عدم ، موجود ، وبذلك يمكن تجاوز العادة ، أو استقدام بعضاً من الوهج الجمالي للغة الأولى ، المعنى المبدئي الذي يحيلنا فيما بعد إلى استغراق جمالي لعمل شعري يفيض بالسحر في تأمل جمالي منفتح على ذاته في صلة غير منقطعة مع عالم الحياة اليومية يقول أدونيس . [29]

كيف أعطيك شكلاً

أيهذا الصديق الذي لا يزال يعاند ؟ سميتك الشيء قلت :

امتلكت ..... لكنك الآن تنفر ، ، واسمك ينفر

ماذا أسميك ؟

هذا مكانك

غيرت نورك أم أنني

لست نفسي ؟ أنا أنت ؟

لكن ضوءك مازال يستطع ـ كاد الحريق

أن يجوس عروقي ملتهماً كلماتي ـ مهلاً

أين أنى ، وكيف أسميك ، أعطيك شكلاً

أيهذا الصديق .

فقد ارتكزت النزعة الجمالية في الأبيات السابقة على دلالة الثالوث ، الوجود، العدم ، الموجود ، فهي الوجود يبدأ بالتسمية (الشيء) ، وهى العدم حيثما يصطدم فعل التسمية بالاستحالة التي هي الموجود (أنا ـ القصيدة المتكلم الشاهد على المساءلة والوجود والعدم في اللحظة ذاتها .

2 - **الشعر يخلق موجودات جميلة:**

يخلق النص الشعري موجودات أشد جمالاً وتأثيراً في النفوس من موجودات العالم الواقعي ، تدفعنا هذه الموجودات إلى تذوق الجمال وإلى الإحساس بالحياة الإنسانية يقول [30]

أحبك حتى كأن القلوب مرايا لقلبي

وحتى كأن الحياة ابتكار لحبي

وتتسم النزعة الجمالية هنا بتعدد الرؤية من خلال مرايا منبثقة من القلب في تضاعف وتكرار في القلوب الأخرى ، حيث تغدو الحياة إحدى ابتكارات حبه أو صورة منعكسة عن وجده .

3 ــ تربية التحول إلى الجميل :

تتحول الأشياء عند أدونيس إلى شيء جميل متوحد يتذوقه الإنسان في لوحة في القصيدة حيث يصير هو والمرآة اثنين في واحد من خلال هذا التماهى يقول: [31]

سرت أنا المرآة

عكست كل شيء

غيرت في نارك طقس الماء والنبات

هذا التوحد بمثابة نزع نقاب الألفة عن العالم ، حيث يقدم أدونيس الجمال الناعس الطرف الذي هو روح وصورة ، وسواء كان ينشر ستاره الرمزي أم يزيح النقاب الأسود للحياة عند النظر إلى الموجودات فهو يخلق وجوداً داخل وجودنا ، ويضطرنا إلى أن نشعر بما ندرك .

ثانياً : الجمال وقيمة الوعى :

1 ــ الجمال وقصدية الوعي :

وأدونيس لا يكتب للفاعلية ،إنما يكتب عن قصد للوعي ، هذا الوعي الذي يبرز الجمال ويوضحه من خلال لغته وأسلوبه، فهما قوتان عنده (أما الكتابة ففعل تضامن تاريخي ، اللغة والأسلوب شيئان : أما الكتابة فوظيفة ، إنها العلاقة بين الإبداع والمجتمع ، أنها اللغة الأدبية التي تحولت بفعل توجهها إلى المجتمع إنها الشكل الذي يرتبط بأزمات التاريخ الكبرى [32])

لذلك يأخذ التوجه الجمالي عند أدونيس لغة التنامي بين الأفعال والاتصال المترتب عليها حيث يتم توصيف الأشياء ، فالذات هي الغد الأتي ، والاعتراف بالتفرد سيظل قائما ، حيث يصبح الفرد أمة يقود خلفه من يستطيع .

وفي ذلك فإننا نجد مركز التنظيم الجمالي يقوم :

فعل الحركة (المشي) سائراً نحو مستوى العلاقة بين الأفعال والتفاعل بين الأفراد في الخبرة الواقعية ، وهذه الخبرة هي :العملية الإدراكية الجوهرية التي يتحقق فيها التذوق الجمالي ، فيتجاوز المتذوق كل صور التمايز والفروق في الزمان والمكان والسياق حيث يقول : [33]

أمشى إلى ذاتي

إلى الغد الآتي

أمشى وتمشى خلفي الأنجم

يا تقاديرنا على الأرض [34]

عين الأرض تاهت فغيري الأشياء

2- **الجمال وخلق الوعي:**

الإنسان الذي يفتقد الوعي يكون مغيباً ، ويصفه أدونيس في هيئة إنسان يقوم بحركاته الاعتيادية من دون أن يكون مالكاً فعلاً لها ، أو موجها لها ، كما لو أن جسده تحركه قوى أخرى غير قواه المغيبة ، فأدونيس يكشف بوضوح على حقيقة هذا الإنسان المغيب من خلال الاستفهام الذي يتبعه بضامن جمال (فيا خالق الكون أبدع سواه ، فيكون الجمال هو الضامن لإمكانية توافق النفس مع الطبيعة يقول [35] :

obeikan.com

يسير وليست له قدماه

ويصغى وليست له أذناه

تغرب عن حاله ... فالزمان سديم على وجهه

واشتباه

لمن يا خليقة تلك الحياة ، وتلك الشفاه ؟

أليس لها صورة وشكل ... أليس لها طينة وإله ؟

تحجر إنساننا وتشيا .. فيا خالق الكون أبدع سواه

3 ــ **الجمال وتناوب الوعي بين الأنا والنحن** :

يطرح أدونيس الذات الكاتبة نفسها " رمزاً" مفتوحاً على فضاء الإنساني ، أي رمزاً للذات الإنسانية في معناه المطلق ، حيث يتكرر تناوب الوعي بين الأنا والنحن ، بين الوعي الفردي والجماعي على وجه ضمني حنياً ، وعبر توظيف الضمائر حنياً آخر ، مما يؤكد الطابع الضمني لدلالة التجربة الإنسانية في معناها المطلق ، وليس في معناها الشخصي للذات الكاتبة ، فاللج الذي يقترح الشاعر اقتحامه في الأبيات التالية ، والاسترسال في خوضه ، هو لج الفكر والمعرفة الذي ينبغي إلى أن يكون غاية الإنسان ووسيلته في آن ، هذا بالإضافة إلى أن إعلان الذات القائلة بضمير المتكلم " أنا الوقت " تخلع عنها صفة المحدودية ، وتمنحها صفة الإطلاق ، أي الذات الإنسانية عبر امتداد الزمن فيقول. (36)

وأنا الوقت

انتظرت السمش في مخدع

جواب ، أنا الصارخ : هذا الكون موج

وأنا البحر، واللج الذي اقتحم الآن

وأسترسل في أحشائه السكري رهان

فنلاحظ علو المخيلة فوق المكان، فتجاوز المخيلة الزمن، حيث ينهض الرمز بالشعر في صورة جمالية مشوقة باعثة على الحركة والتواصل، وينهض الشعر بالفكر، وتشحن القصيدة وعى القارئ بالتمتع والمقاومة، تجاه تناقضات العالم، ذلك ما يسوغ لزمن النص أو يبعث الحياة في الزمن الموضوعي الفارق في الركود الميت، وما يسوغ للشعر أن يعيد للمكان حركة الجوهر التي فقدها.

ثالثاً: الجمال وقيمة المقاومة:

1 - الجمال لقهر زمن الموت:

المتلقي في ممارسة عملية الإدراك يجب أن تكون لديه القدرة على أن يكون مبدعاً من نوع ما، ويختص بالتجربة الحياتية اليومية ليستفيد مما تقدمه، كما يمكن القول: إنه في الحياة اليومية يختفي الخط بين الجمالي والعمل الأدبي (النص) إذ يقدم النص في هذا المعنى من خلال وسائل جمالية ،وسائل للتفاعل الجمالي من السياقات الاجتماعية المختلفة والمتفاوتة، هذا الدور المتغير للمتلقي في عملية التلقي هو تعبير عن دور النص في التأثير. فأدونيس يعتمد على رؤيا شعرية متجددة من أجل الكشف عن عالم بحاجة إلى الكشف، فهو يقود ثورة التحول باسم الشعر، وباسم التغيير من أجل مستقبل خصب جميل، ومضيء، وهذه الثورة التحويلية، ما هي إلا محاولة لقهر زمن الموت الذي لا يزال يقهر الإنسان ويحرمه متعة الحياة وجمال ما فيها، يقول [37]:

اللحظات موج الوقت

وكل جسد شاطئ

الزمن ريح

تهب من جهة الموت

فمعاناة الشاعر أمام زمن الموت الخالي من الجمال ، دفعته إلى البحث عن زمن جديد ، لا تشيخ فيه الكلمات ولا تشيخ فيه الكائنات ولا تموت ، حيث تلبس الأشياء ثوباً لا يبلى ، وحيث تتوالى فصول الحب والنماء لتنشر الجمال في كل الأنحاء ، هو زمن التحول ، زمن الانفلات من ضربات الحزن ، فيصير الفرح سيد اللحظات الجميلة ، ويصير الحب سلطان الزمان الذي لا يغيب.

2 ــ **الجمال لقهر الوحدة :**

يتجه سحر المعنى عند أدونيس مصاحباً الأفق الشعري إلى أفق جمالي يحسه الشاعر مجموعة من المتناقضات في الشكل ، لكنها تتوافق في هدفها الأخير.

- ✓ العزلة على سبيل المثال تستدعى المشاركة ، وهى عند أدونيس مشاركة خيالية مع أصدقائه الشعراء ، أو مع أنوثة هي بنت الوهم أي (الصبوة النرجسية) حتى لكأن المشاركة عديله العزلة الحقيقية ، لأنها لا تحرص على الشوق ، أما العزلة الشعرية فترتبط بالمشاركة مع الآخرين ، تأسيساً على جدلية المستنفد والبعيد الزاخر بالإمكانات فيقول [38]

كنت أنام وحيداً

خوفاً من أن تهجرني الوحدة

obeikan.com

3 - **الجمال وجدلية الموت - القريب من المعرفة والحب البعيد :**

يؤمن أدونيس بجدلية الموت ـ القريب من المعرفة والحب البعيد عنها ، إذ الموت حالة نفسية ، وليست حقيقة بيولوجية ، أما الحب فلأنه التصاق جسدي يتحول إلى حب بعيد عن معنى الهوة التي تمنع الاتحاد بين الحبيبين يقول:

الموت قريب

لأنه فكرة لا جسد

والحب بعيد

لأنه جسد لا فكرة

ولأدونيس معرفة أشبه بالسحر ، فالجمال الأصيل عنده هو ما نتج عن معرفة بالحق وأرشد إلى الخير ، والموت حق (وبذلك فإن معرفة الحق لا يمكن إلا أن تكون السبيل إلى تحقيق الخير) [39]

رابعاً : الجمال والتجدد:

1 - **الجمال والحلم التحريضي :**

ومن متناقضات أدونيس المتصالحة ، اعتبار الحلم لا ينتهي ، ولا يستقر مع في ذلك من مشقة . على أن عظمة الحلم تكمن في لا نهائيته ، في حركته لا في سكونه فهو محرض الحياة، وطبيعي لا ينتهي، وإلا انتهت الحياة ، وهو باستخدامه متناقضات اللغة ، لا يقف عند حد الإقناع العقلي ، وإنما يصل إلى إثارة العواطف بما تقدمه للحواس من تذوق جمالي ، فالحلم شاطئ لا ينتهي في انتظار سفينة تأبى الرسو ، ومع ذلك يظل الحلم قائما سرمدياً يقول [40]

الحلم شاطئ

لسفينة لا ترسى

مع ذلك انتمى للحلم

هذا الانتظار الحالم تجدد دائم في انتظار الآتي الأجمل في المستقبل القريب .

2 - الجمال والماضي الحي المتجدد:

يتخذ التعبير الجمالي عند أدونيس شكلاً تقابلياً بين ما كان عليه الزمن الأول الجميل ، وما هو عليه الحاضر من مهانة ، على أن المستقبل أو الغد وتحيرها إلى ما كان ، هكذا يصبح الزمان القديم عنصراً جمالياً كائناً حيوياً ، له عروق وجذور ومودعة فيه منابع خير وأساطير يقول [41]

في عروق الزمان منبع خير

عب ألوان كبره من علاها

وعلى جبه الأساطير ثمار

للمته أكفه من رباها

ونأخذ النزعة الجمالية لديه حداً عالياً ، إذ يكفي فعل التسمية نفسه كي يتم تواجد الأشياء ، وتحقق النشوة الجمالية يقول [42]

إذا قلت يا سوريا

لفني الجمال

ولف مع الأعصرا

وأفرغت هذا الوجود بطلاً

لفني ، وهذا المدى منظراً

obeikan.com

3 - الجمال واكتشاف لحظة الخلق المتجدد :

لما كانت غاية الشعر الدخول إلى الأعماق ، ومحاورة الروح ، لنستعيد ذكريات وانفعالات مرتبطة بنا ، نأخذ أشكالاً جمالية في الذاكرة ، أوفي التصور ، أوفي التذوق ، فالكتابة تمتلك قدرة التحول ، والتحويل السحرية لأنها تدفع بالجدل بين عالم الظواهر ، وعالم الأعماق إلى أقصاه كي يتأصل الوصل ، فتلتقي الذات بالطبيعة في طهرها ، وصفائها ، لهذا يفجر عالم الظواهر ، وينفذ إلى بواطنه، كما يلغى هذا الطقس الانقلابي الزوج : حس / غيب ، ظاهر / باطن /معلوم / مجهول.. لقد تم اكتشاف لحظة الخلق المتجدد ، وقدسية النور الأزلي ومن ثم أصبح الموت عتبة الحياة العذرية ، والفناء باب البقاء الأسمى في (الجنة البديلة) ، وهذا الحال يوقظ في النفس انطباعات جميلة لتبدأ رغبة الاستمتاع الحسي بروعة الجمال يقول :

ذاهب ..

وما أعقبها من لحظات انتشاء واستمتاع:

أتفياً ...

تلاها ابتهاج الوصل واللقاء

أصل ...

وانتهاء بالغناء والتوحد الكائنات

ألبس

هذا التدرج التصاعدي في حركات الطوق الشعرية ، تحاكى بشكل جلي المقامات الكشفية في مسار المعرفة القلبية ، والذوقية ، لذلك نطالع انجذابا

نحو الكمال ، يهدف إلى التحكم في حركة الزمن ، ودورته التعاقبية الليل والنهار ، أملاً في قلب صفاتهما ضوء النهار / ظلمة الليل ، وصولاً لنور اليقين.

خامساً : الجمال والمستقبل :

1 – الجمال والتجدد باتجاه المستقبل :

يقوم التذوق الجمالي عند أدونيس على حركة إنسانية متطورة متجهة نحو المستقبل النافع ، تأخذ من الماضي ما هو حي ، وتسقط كل ميت فيه ، حيث يربط الحي في التراث بالمستقبل من خلال حركة الانبثاق والارتداد في لحظة شعورية واحدة ، وهذا ما يجعله ينجلي عن شيء رديء ويتبنى شيئاً نافعاً جديداً أكثر نفعاً. فموضوعات الحياة عنده تخضع للاهتمامات الجمالية والنفعية التي تحدد معنى القيمة الثقافية الإنسانية ، فقيمة الثقافة بوجه عام ، تراثية كانت أم معاصرة ، كامنة في حاجة المجتمع لها بالتجدد والغد الأجمل الذي كلما ابتعد زاد اقترابه ، فالنهوض من السقوط أمر ضروري وحيوي ، وهو تجدد دائم مثل طائر الفنيق الذي يتوالد من رماده بعد احتراقه فنيق آخر يقول [43]

سيدتي أنا اسمي التجدد

أنا اسمي الغد

الغد الذي يقترب – الغد الذي يبتعد

في مهجتي حريقة ذبيحة

فنيق سر مهجتي

وحد بى ، وباسمه عرفت شكل حاضري

وباسمه أعيش نار حاضري

2 - **الجمال وحركة الأحياء :**

وتأخذ التربية الجمالية عند أدونيس حركة التجدد الدائم ، فتتم من خلال عملية الأحياء ، والتي يكون الماء عنصراً رئيسياً حيث التجدد الدائم ، ويتم ذلك وفق حركتين متناقضين ، ومتكاملتين في أن تتمثلان في : حركة نازلة تحفر في الباطن ، حركة صاعدة علائية ، وفي رحلة الصعود والهبوط ، تكتمل تفاصيل السحر الجمالي ، يرفع إطارها ما هو متحول إلى مرتبة السامي الفاتن فتكون مملكته وجه الماء أصل الحياة والتجدد والنماء ، فالماء يحول الحب إلى نماء وخصب ، ويصبح الامتلاك مقرونا بالغياب ، مادام مقام المشاهدة في تحقق ، فكانت الدهشة فتساوى القرب والبعد يقول [44]

مملكـــــتي تلـــــبس وجـــــه المـــــاء

لا فـــــــرق إن دنـــــــوت أو نأيـــــــت

3 - **الجمال وانبعاث الحياة الجديدة :**

يكثف أدونيس لغة لاستعارة تعمداً لإظهار الدهشة الجمالية من افتراض متعدد للأعماق والأبعاد والمسافات ، هو ما يؤسس خاصين الاشتباه والالتباس ، وليس التشابه ، فإذا كانت الاستعارة العمودية قائمة على مبدأ المقاومة في التشبيه ، فإن الاستعارة هنا تأكيد على عنصر الجمال ، قائمة على مبدأ آخر ينزع نحو الخرق للمعقول والمعلوم ، إذ أظهرت نوعاً من الشبه ، فلا يعدو أن يكون مجرد وهم ، وهو ما قد يعنى أن التاريخ هو استعارة الوهم . لذلك يكون دور الشاعر هو السفر في تيه الوجود لتعرية مكر التاريخ ورؤية تحولات جوهرية بما هي انبعاث لحياة جديدة ، وتناسل لتواريخ أخرى يقول [45]

ماذا تفعل يا هذا الشاعر

في هذا البلد البائر؟

أشهد فيه

تكوين بلاد أخرى

ماذا تفعل يا هذا الراوي

في هذا التاريخ الميت ؟

أشهد فيه

ميلاداً آخر

لتواريخ أخرى

سادساً : الجمال وقيمة الانتماء

1 - الجمال والانتماء للبيت والأرض :

يتناول أدونيس غربة الأرض ، كونها غربة المتكلم أساساً : غربته التي تعنى شوقه إلى تحقيق عالم أثيري هو عالمه ، وتعنى استعجاله الثوري كذلك إذ يبدو كل تأخر عن انجاز الحلم تمجيداً للزمن ، ويبدو تنكب كل إنسان عن المشاركة في الحلم تعطيلاً لقواه الإنسانية في الغربة ، تعنى وحدة المتكلم ، ووحشته بعيداً عن البيت الذي يبحث عنه يقول [45]

في أمتي في أرضى الحيرى

في هذه العالم المطفأة

كأنني من ألف عام أدور

أحيا وحيداً تحت سقف العصور

obeikan.com

أستنطق الغيرا

أبحث عن بيت وعن مدفأة

وأدونيس بناء على إستراتيجية التيه السابقة يخطو باتجاه الجمالي ، باختراق نواة التاريخ ، ليكون شاهداً على تكوين الأشياء وحدوث الولادات ، ولولا التيه لما كان هناك تاريخ ، ومعنى ذلك أن الوجود يتيه بالموجود ولا يعرض الموجود ألا في التيه .

2 - **جماليات الانتماء** :

وتأخذ جماليات الانتماء في شعر أدونيس طابعاً عربياً خالصاً ، فالعالم العربي يعيش عصبية وتمزقات ، دعاوى فارغة تسطر التاريخ ، وتجعله نقياً طاهراً خالصاً من الإثم ، وبدلاً من قذف الاتهامات واللعنات ، كأن اللعنة تكفي لتمويه الحقيقة وحجبها ، والتخلص مما تفرضه ، وكأنها تخلع عن كواهلنا العبء المرهق (مأساوية التاريخ) : عبء مواجهة الحقيقة ،وإدراك التمزقات ، والتناقضات والنفي الداخلي لشرائح كاملة ، مما ينتمون بعمق إلى ثقافة الفهم والتنوير ، بإقصائهم وحصرهم في خانة (الأعداء الحاقدين ، الناقمين) والتوهم بذلك بأننا نطهر التاريخ من شوائب تعلق به ، وتحتفظ له بوحدانيته ، وصفائه ، وأمجاده المستوهمات وفي ذلك كله يؤكد أودنيس انتماءه إلى هذه الثقافة المحاصرة ، هذا الانتماء العميق ، حيث يمدنا ببعض الانفعالات من أجل العمل على تذوقها والاستمتاع بها فيمدنا ببعض الشحنات الوجدانية ، وذلك وصولاً إلى استخلاص معانيها ودلالاتها فيقول (46)

آينى أنني منهم - بشر مثلهم

ولكنني

أستضئ بما يتخطى الضياء

آيتى أنهم

يقرأون الحروف ، وأقرأ ما في الخفاء

3 -**الجمال والتخيل (علاقة الكائنات والأشياء)** :

تتسم التربية الجمالية عند أدونيس بنظرة تسعى باستمرار إلى كشف علاقات جديدة بين الكائنات والأشياء ، تجمعها ملامح انتمائية تتصاعد في حسها الجمالي لأن مدار التربية الجمالية هي مسألة المعنى ، الذي يتسم بالفيض الجمالي الذي من شأن العالم أن يحمله ، فهو قائم في نشاط الذات التي تبنيه من خلال أسئلتها ومقارباتها المتتالية ، فأدونيس يجمع أفكاراً ومفاهيم متباعدة أو متقابلة في العادة ، قائمة على مبدأ التناقض ، ويبين هذا الطابع أن الإحساس الجمالي في النص يكون له شكل المعرفة المتشظية شبيهة بما في النص العلمي أو الفلسفي إلا أنها هنا تجمع سياقاً يتجاوز مستوى التجربة الحسية إلى خلق وجود مشترك للألفاظ المتضادة هي شرط التناول المعرفي ، وهى بذلك عندما يتم تذوق الجمال ، فإنها تأخذ شكل نهج استنباطي من خلال التحديد الدقيق للنتائج المنطقية .

وتزداد فاعلية الجمال في شعر أدونيس ، لاتسامه بسمات عملية تخيلية من النمط الذي أسماه عبد القاهر الجرجاني (التعليل التخيلي) وهو يقوم على مواهمة وخداع النفس لأنه يسعى إلى تسويغ مقولة لا تبدو منطقية بالمقايسة إلى معطى من المعطيات الطبيعية ، تقبله النفس فتؤدى المقايسة إلى نمط من البرهنة على سلامة المقولة ، بذلك أصبح هذا النمط من التخيل سمة جمالية ، وفيه قدر من

البراعة والشفافية ، والتكرار ليس تكرار فعليا ، بل يتضمن تنويعاً ومغايرة مرهفين برسم جمالي شائق حيث يقول [47]

علمته المحيطات إيقاع أمواجها

علمته الصحارى رسوم الرمال وأشكالها

لم يحسوا بأسرارها وأسراره

لم يحسوا الفروقات في نبضه – وقالوا

تتكرر ألفاظه ، مثلما تتكرر أيامه.

ضحكت وردة تتقلب في العطر أوراقها

سابعاً : الجمال وقيمة اللغة

1 – الجمال وكينونة اللغة :

نأخذ اللغة عند أدونيس شكلا جمالياً مخترقا المألوف عنده لا ترضى كما يفعل الآخرون أن يكون مجرد صور بلاغية أو علامات بيانية أو إسقاطات لاواعية على الحوادث والأماكن والأشخاص بل تنشد أن تتحول إلى كينونات ذاتية مبدعة للجمال ، تشد الوجود والتاريخ والإنسان إليها ، من خلال امتداداتها اللفظية ، ودلالاتها السيميائية ، ورموزها الكثيرة ، وطبقاتها ، وسطوحها المستترة في النص ، عبر هذت اللغة نلاحظ أن الأشياء والزمان والمكان تتحاكى بطريقة بصرية شخصية فيها الكثير من الجمال والحميمة والدفء يقول [48]

هذه الليلة لن أرجع للبيت ، كما اعتدت

سأبقى ساهراً

اسمر مع قافلة الأنجم

أمشى سادراً بين الشجر

وأرى كيف ينام الليل محمولاً على ضوء القمر

2 - **الجمال ولغة الصمت :**

يقدم أدونيس في شعره ، معاني رفيعة المستوى دون أن تحكى ، يقول لنا الحكاية بلغة نوعية جمالية تلفها لغة الصمت لنخلق بذلك موضوعاً جمالياً ، فالموضوع الجمالي موضوع مبدع أو مخلوق ، والإبداع الذي يبدعه الشاعر في نظره هو المقابل ، أو المعادل الموضوعي للعاطفة أو الانفعال أو صمت الفكرة ، أو الحدس فيصبح بذلك تجسيد ماديا ، وتحقيقاً ملموساً لحالة من خلال الصمت التي تشملها حالات الشعور النفسي المتعددة ، يقول [49]

اتركوه لتهيامه

يقرأ الغيب في وردة

ويقول الكلام الذي ليس من كلام

3 - **الجمال ولغة الرمز :**

يمتلك الرمز عند أودونيس طاقة حركية عالية تؤهله لذرع حقول المعنى الجمالي المنتشرة ما بين المحاور والأطراف مع بقائه محافظاً على وحدته وتماسكه في آن ، بل أنه قد يعزز دلالة ضدية تعصف بسياق القصيدة خارج ما يعلن عنه النص ، فأدونيس في تربيته الجمالية في شعره يؤكد الماء أصل الحياة : مطراً ، غيما، سحابة بوصفه رمز الحياة الكونية ، فالماء رمز النمو والتواصل الخلاق يقول:[50]

سفن الحلم تجرى على متن هذا الهواء

حاملات الأغاني لري الفضاء

obeikan.com

فحلم الشاعر هنل أشبه بسحائب كمثل سفن تجرى لري الفضاء ، بل تلبس هذه السحائب بحالة النهر. فالنهر يجرى يتحرك ، يغير مجراه ، يجهل من أين يأتي ، إلى أين يجرى ، وحلم الشاعر يجرى يمخر الهواء لري الفضاء .

ولغة الرمز عند أدونيس تؤسس لحركة جمالية مكثفة داخل النص ، والتي تؤهله لمد العلاقات إلى العناصر المتهافتة في الواقع المعيش ، لا يقوم بعملية الهدم لبناء النتائج أو الحكمة أو الحلول ، بل يكتفي عمله بالتشويش على الوعي الجماعي السائد ، وما يلازم هذا الوعي من قصور ، أو غفلة عن جديد التطور الحضاري للمسيرة الإنسانية .

فالبحر في جوهره بوصفه واحد من أهم العناصر المكونة للوجود كونه منبعاً للإبداع والجمال ، يستمد استمراريته من حركة الموج لا من سكون الشواطئ فإذا أفرغ ماؤه من حركة الموج ، فقد حركة الجوهر ، فقد ديمومته وقدرته على الدفق الأبدي للحياة فالموجة ترتفع وتعلو كي تنظر إلي الكون من عل وتدعوه في الوقت ذاته كي ينظر إليها (51).

وفطرة البحر في انتماء حضوره للحركة لا السكون ، تصبح ذاتها فطرة الشعر الذي يشع جمالاً ، وانطلاقا من صدور قيمة النتاج الشعري عما يتضمنه من خصوصية جمالية ومعرفية ، وفنية في آن ، فإن الإبداع والجمال والمعرفة يحققون الاستمرارية بتجاوز الزمن والعرض بما يحققونه من التحرك نحو التجدد الذي يمليه التوجه الجمالي ، والتطور المعرفي والإبداعي عبر الزمن يقول (52)

الكتابة هي لحبرك موج الترحل

واهمس لشطانه

أن تظل بلا مرفأ

ثامنا : الجمال وقيمة التنوير :

1 - الجمال و الإيديولوجية :

تصل الرؤية الجمالية في شعر أدونيس إلى الإنسان المؤدلج ، فمثلاً إرادة السيطرة تكون باسم فكرة ما ، دينية أو علمانية ، لا فرق ، الكلمات وسحرها الجمالي تكون رمزا للفكر ، بغض النظر عن محتواه المحدد ، والكلام من الأشياء ، على كل ما في عالم الجماد ، وعالم الأحياء ، عالم الطبيعة ،وعالم الإنسان ، فنجد الشكل المقابل للإدراك لأنه لا يوجد قيم جمالية مسبقة ، لكن أدونيس يجسد هذه القيم في قصائده ، فيؤكد على ضرب من التناغم تشع من خلال هذه القيم وفي ضوء هذا التأويل يصبح الفكر بالضرورة هو فكر فرد ما أو جماعة ما ، ومن هنا فإن إرادة القوة لا تعمل من خلال الفكر بوصفه فكراً ،بل من خلال الإنسان الذي يحمل هذا الفكر ، فالإنسان الذي يعمل بمقتضى إرادة السيطرة على الطبيعة ، أو على أخيه الإنسان ، إنما يفعل ذلك باسم فكرة أو عقيدة ما ، إنه الإنسان المؤدلج يقول:[53]

حقاً بعض الأفكار كمثل نبات وحشي

يأكل لكن لا يأكل إلا بشراً

2 - الجمال واليقينية :

هذا الإنسان المؤدلج هو إنسان اليقين والثبات الذي لا يجد الالتباس أو الشك منفذاً إلى قوقعته الإيديولوجية ، إنسان الوضوح الذي ينظر للتاريخ نظرة معاكسة لنظرة الشاعر ، والتاريخ ذو معنى له ، ويسير لا محالة نحو المستقبل الموعود ، ولذلك فهو إنسان التفاؤل الذي لا يتردد عن القول [54]

إنها آية

عرب طالعون من الرمل

خيلا عرابا

سيبدون كسرى ، ويمتلكون الفضاء

وإذا كان هذا الإنسان ابستمولوجيا أسيروهم اليقين ، فإنه ميتافيزيقيي أسير الغائية . لذلك لا يتورع عن أن ينظر إلى نتائج عمله بمقتضى أرادة القوه ،سواء اتخذت طابع التسليط على الإنسان ،أو طابع السيطرة على الطبيعة ،على أنها جزء من نسق ضروري ،خطوات ضرورية في اتجاه غايات كبرى ، ومقاصد عليا في الإيديولوجية الدينية ،يترجم هذا النسق المزعوم إلى خطه إلهيه يقول : [55]

قال الله : الأرض مهاد للإنسان

وسأجعل منها عرشا

ويكون التاج خليفة

هو ذا العرش يهيأ تحت سقيفة

والعرش في هذه الحالة بما هو رمز السلطة ،يصبح المعادل الأرضي للسلطة الإلهية بجمال الانعكاس على المرآة يقول : [56]

إنه العرش يصقل مرآته

صورته للسماء

ويزين كرسيه بشظايا الرؤوس ورقش الدماء

3- **الجمال وهدم النموذج السابق :**

يحاول ادونيس أعادة هندسة المكان فكريا ، يدفع بالتوتر إلى أقصى حد ، لأن الحكمة قد تحررت من اكرهات الاصطلاحات ،فالتقت حينئذ بالجوهر الذي يتجدد مع كل ممارسه خطابية تحفر في ذاكره اللغة والذات ،والمجتمع والتاريخ ، ومن ثم فان اللغة قد غدت منتجة للمعرفة ،لأنها تكتشف لا وعيها ،فيما هي تكتشف الأشياء ،والحقائق فيما حولها ،وعندئذ يصبح التركيب حكمه ،فتتسع الإرادة ،تتتجدد صيغ العبور بآلامه ،وابتهاجاته ،وتلك حركات تأسر وتلقى بالنفس في بؤر التحولات .

حركه الحروف والألوان ،وكلها صيغ جمالية باعثة على الالتحام مع النص ، إن إغراء المغامرة ،والتوق إلى السكن في الفجوات هو مطلب التجريب الكتابي المشحون إيديولوجيا، الذي يأخذ أشكالا جميلة متعددة ،فهو يهدم نموذج سابق ويتوحد مع حركه الواقع الإشرافية **يقول :**

حالم يقرا كتاب الشوارع راسما وجهه بنار الإسفلت

شاعر يفضح المدنية ويرقد في سراويلها

لكن الأرض سائبة

مدن تنحني ،أشجار تتلاقى

تاسعا: الجمال لتجاوز المألوف :

1-**الجمال والتأويل الشامل :**

يأخذ تأمل ادونيس الكتابي من خلال رؤيته الجمالية ،ضمن مشروع التأويل الشامل الذي تنفتح عبره مجالات التعددية والنسبية والاختلاف ،وهذا سوف يدفع إلى عملتي التجاوز والتخطي للمألوف الساكن ،ويظهر ذلك من خلال انكشاف

أبعاد العلاقات والدوال اللغوية ،بوصفها نسيجا من المجازات والاستعارات التي يتشكل منها كتاب العالم " فالعالم مخطوطة لعالم أخر لا تنفذ إليه قراءة كونية ، ولا يفك رموزها إلا الوجود " [58] والإنسان كوجود في العالم يحمل تصورات لإثبات كينونته التاريخية ،هو المقصى إذن في التاريخ الدموي ،الذي لا يفتأ يؤسس لسلطه الفرد كخليفة ،لسلطه فرد آخر حتى يسيل الدماء"[59]

عجبا للدماء التي لا تجف

وكررت هذا على المتنبي

وكان يردد مازلت طفلا

عجبا للزمان الذي يتجرع أمواج هذى الدماء

ولا ري في جوفه

2-الجمال والعودة إلى الذات :

الكلام بلغة المفارقات أو التناقضات يعنى الذهاب بالسلب إلى منتهاه أن التناقص هو سلب سالب لذاته ، لذلك يصبح التناقض رمزا للجمال فالجمال عند ادونيس يتخطى العالم المقزم في قمم النظام المعرفي للثقافة السائدة وذلك للإيغال في سيروه متواصلة للتخطي الذاتي.

كما إن العودة إلى الذات تعنى تجاوز ما اسقط على العالم والأشياء من معانيه في صور ماهيات ثابتة جراء عمل إرادة القوه ،واستبدال إرادة الخلق بإرادة القوة.مسؤولية خلق معان جمالية جديدة ،فأدونيس لا تقيده قيود عالمه الداخلي الخاص إنه الآن المشرع لذاته ، ولعالم الأشياء لكنه في استبداله إرادة الخلق بإرادة القوة ، يجد أن معانيه المسقطة على الأشياء في شكلها الجمالي ، أشبه بالكتابة

على رمال متحركة ،لان الحصيلة الأساسية من ثقافة عالمه السلطوية القائمة على إرادة القوة هي تطهيره المعاني من كل أثار يشوه جمالها ،كما أن التعالي ينتهي به إلى ذاته ،هو إذن تجاوز للحقيقة المؤنسة ، هو في آن عودة للحقيقة الأصلية ،لكن العودة لابد أن تنتهي به إلى آنسنه الحقيقة مجددا ،إنما أنسنتها في هذه الحالة ،وفق معايير إرادة الخلق لا إرادة القوه ،هنا تترجم الحقيقة إلى لغة لا تفقد أبدا أصولها المجازية ،وهكذا تصبح عودته إلى ذاته بداية تجاوزه المستمر لذاته يقول[60] "

الكلام يتفجر منى –انا شكه

وأنا نفيه

كل ما قلته لم اقله

والذي سأقوله اختلاف

ويشبه لي أن نفسي تجتاحني كل يوم

فلماذا يقال :أضل سواي ،وأهدى سواى

وآنا ساكن هواي ،ولا بيت إلا خطاي

3- **الجمال ووحدة النقيض** :

ورؤية أدونيس الجمالية لوحدة النقيض في الوجود "تتطابق مع رؤية هيدجر لمفهوم الحركة والسكون "[(61)] في وحدة الوجود أيضا ،فالسكون ليس في معناه الدقيق ليس غيابا للحركة ،بل يمثل تجمع الحركة ،حيث أن هذا التجمع ينتج الحركة ، ويحتفظ بها في حاله كمون أي أن الحركة تبنى في السكون [(62)] لذا فإن كل ظهور للغيم في حالة السكون ، هو ظهور السكون في حالة تجمع الحركة

والاحتفاظ بها في حالة كمون وهذا طرح جمالي يجمع وحدتي النقيض الحركة والسكون يقول " [63] :

لا غيوم ترن خلا خيلها

لحقول اكتست بزفير نباتاتها

والغصون انقباض

في وجوه الشجر

هل يجى المطر ؟

عاشرا :الجمال وقيمة الوجود :

1-الجمال وتعدد معاني الوجود :

يقيم الشاعر حوارا جماليا بينه وبين نفسه والأشياء ،وحوار أخر غير مرئي أو مسموع ،هو حوار هذه الأشياء والنجوم ،والشجر ،الليل ، القمر ،الضوء ،مع بعضها البعض ، حيث تجسدت داخل بنيات جمالية شاركت الشاعر حياته ينقل إلينا أدونيس بهذا الحوار معاني الوجود يقول "[63]:

دوار الشمس جنون ظلام ،وجنون ضياء

أنى مال جبين الشمس ،تراه يميل

يترصده السحر ، الطفل ويربض فيه

ويجئ شروق بين يديه

ويروح أصيل كل صباح فيه حي

كل مساء فيه قتيل

دوار الشمس نقائض علم ،كم أشبهه

لكن حياتي مثل كلامي تأويل .

2-الجمال وكسر العادة:

والجمال في شعر أدونيس هو الخرق وعصيان العادة ،فكسر العادة تبشير بضرورة الفعل ،فالسباحة تفقد الجسم المرن،ومراسه ،وتوهنه ،في نهاية المطاف ،وتدمر طاقات الصراع والإبداع والحيوية فيه ،غير أن القادرين على العمل بهذه المعرفة الأكيدة ،قلة نادرة في تاريخ الثقافات بذلك يربط أدونيس بين العصيان والعادة والجمال فيقول " [64]:

أن كان هناك جمال

فهو الخرق – أفيئوا ،واعصوا

لا تعصوا إلا العادة .

3-الجمال والسعادة :

وتجربة السعادة عند أدونيس تشبه الطريق، فهي عبور لا مستقر ثابت ، ولذلك لا تنتهي، والسعادة لذلك لا تستنفد، أي تجدد دائماً وإلا انتهت بالملل ، فالشاعر يؤكد الحركية والتحولية، لا الثباتية في الوضع البشرى في وجوده، لذلك يرسم لوحة جمالية متحركة حيث يقول [65]

الطريـــــــق رمـــــــز الســـــــعادة

ذلـــــــك أنهـــــــا عبـــــــور دائـــــــم

ومن خلال ما سبق نجد أن التربية الجمالية عند أدونيس ، تنمو نحو أشكال غير تقليدية ، فهو يقوم بخلق قيم جمالية من علاقات متناقضة، تحمل في طياتها جوهر بعض الحقائق كالموت مثلاً ، وبعد القيم كالسعادة مع التخيل الحمى ، فنلحظ في تشكيلاته الشعرية خروجاً عن المألوف ، والخروج عن مألوف الجماعة

في مجال التذوق الجمالي هو نوع من أنواع الأصل والأساس ، فالتأثر بالجمال الحسي هو صدق يحيل إلى وجود تفاعل جمالي من خلال التنوع واتساع الأفق بالحلم ، حيث تتطور القدرة على التميز ، وكل ذلك تستطيع أن تقوم به التربية الجمالية .

وإذا لم تقم التربية بذلك ، وظل المتلقي بليد الخيال على الرغم من مواهبه الحسية فعلى الأقل سيتمكن من تذوق عنصر مباشر شامل من عناصر التأثير [66].

والإثارة الانفعالية التي تخلق المتناقضات تثير العديد من الاتجاهات الجمالية، والمعاني المستمدة من خلال خبرة سابقة . فجمال المادة هو الأساس الذي يقوم عليه الجمال الأسمى سواء أكان ذلك في الموضوع الذي لا بد لشكله ومعناه أن يتجسما في شيء محسوس ، أم في ذهن المشاهد ، بحيث تظهر الأفكار الحسية أولاً ومن ثم فهي أول عناصر اللذة [67].

ولذلك استطاع أدونيس بوعي أن يقدم رؤية جمالية قادرة على انتقال الإنسان إلى أفاق أرحب في حياته لأنه يتصدى لمشكلات القيمة التي تشع من التناغم الشعري واللغوي حتى يشعر المتذوق بالراحة النفسية تسرى داخله بسبب التناغم الذي يحدث بين صراعاته وتناقضاته الداخلية .

النتائج

1- أكد البحث أن التربية الجمالية ضرورة مهمة لاستمرار حياة الإنسان لأنها تأكيد لكل ما هو نوعي وخاص في مقابل الكلية التي تريد أن تهمين وتتسلط على كل شي.

2- تساهم التربية الجمالية في تهذيب ذوق الإنسان ، وتدفعه إلى التحرر من عبودية الاحتياجات ، لأن الجمال يؤكد التفرد والاختلاف بعيداً عن التماثل كنظام للقمع.

3- خلص البحث إلى أن التربية الجمالية لا تكف عن النمو والتحقق، حيث تتوالد عنها سياقات متجاورة، ومتفاعلة كأنظمة سياسية واجتماعية، وأحداث مصيرية، كذلك تطلعات فكرية وروحية.

4- تأكدت أهمية التربية الجمالية في جعلها الإنسان يدرك ما يدور حوله نتيجة وعيه الذي يقوم بإزاحة الآلة الساحقة التي تصنعها أجهزة الإعلام لتزييف وعيه، وذلك بخلق حقائق مزيفة بعيدة عن الحقيقة،حيث يعتبر ذلك من ركائز القبح في حياة الإنسان

5- أشار البحث إلى أهمية وجود استمرار الجمال في حياة الإنسان نتيجة للإلغاء التكنولوجي للفرد،وإلغاء الدور الاجتماعي للأسرة،حيث صار التنظيم الاجتماعي يقود الفرد لممارسة القمع.

obeikan.com

الـهـوامـش

1- ديفيد إنغليز، وجون حغسون :سوسيولوجيا الفن ،ترجمة ليلى الموسوى عالم المعرفة ع341 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت يوليو 2007ص124

2- نبيل راغب:التفسير العلمي للأدب ،الشركة المصرية العالمية للنشر ،لونجمان القاهرة 1997ص304

3- زكريا إبراهيم :فلسفة الفن في الفكر المعاصر ،مكتبة مصر ،القاهرة 1966ص6.

4- نبيل راغب:مرجع سابق ص312

5- زكريا إبراهيم:فلسفة الفن في الفكر المعاصر ،مكتبة مصر ،القاهرة1966ص6.

6- أميرة مطر:فلسفة الجمال دار المعارف القاهرة 1979ص7

7- نبيل راغب:مرجع سابق ص311

8- نبدتـه كروتشة :المجمل في فلسفة الفن ،ترجمة سامي الدروبى دار المعارف،القاهرة،د.ت ص51

9- جورج سانتيانا:الإحساس بالجمال ،ترجمة محمد مصطفي بدوى ،الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 2001ص97

10- مصري عبد الحميد حنورة:الخلق الفني دار المعارف القاهرة د . ت ص46

11- نبيل راغب : مرجع سابق ص 306

12- زكى نجيب محمود : من مقدمة الإحساس بالجمال سابق ص 25

obeikan.com

13- شاكر عبد الحميد : التفضيل الجمالي ،عالم المعرفة ، ع 267 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت مارس 2001 ص 18

14- السابق نفسه : ص18

15- السابق نفسه : ص36

16- زكى نجيب محمود : مرجع سابق ص 27

17- السابق نفسه : ص28

18- شاكر عبد الحميد:مرجع سابق ص 41

19- روبرت سولسو :علم النفس المعرفي ،ترجمة محمد نجيب أحمد وآخرون ، دار الفكر الحديث ،الكويت 1996 ص82

20-- شاكر عبد الحميد: مرجع سابق ص 178

21-السيدة جابر خلاف : الوجدان في فلسفة سوزان لانجر ،الهيئة العامة لقصور الثقافة كتابات نقدية ع 104 يوليو 2000 ص 120

22 – السابق نفسه : ص 121

23- أميرة مطر : فلسفة الجمال مرجع سابق ص43

24- هربرت ريد : معنى الفن ، ترجمة سامي خشبة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1998 ص12

25- نبيل راغب : مرجع سابق ص142

26- جورج سانتيانا : مرجع سابق ص68

27- السابق نفسه : ص71

obeikan.com

28- مصطفي الكيلانى : سؤال المعنى والمعنى الشعري : فصول م 16 ع 2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 2001 ص68.

29- أدونيس : ديوان المطابقات والأوائل ، دار الآداب بيروت 1980 ص26.

30- أدونيس : قصائد أولى الأعمال الكاملة ، دار المدى دمشق 2010 1985ص48.

31- أدونيس : المرجع السابق ص439.

32- إيما نويل فريس ، برنارموراليس : قضايا أدبية عامة ، ترجمة لطيف زيتوني ، عالم المعرفة ع 300 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت فبراير 2004 ص33.

33- أدونيس : الأعمال الكاملة سابق ص44.

34- نفسه :ص47.

35- أدونيس : إذا قلت يا سوريا بيروت 1958 ص123 ، ص124.

36- ادونيس : الأعمال الكاملة سابق ص111.

37- أبجدية ثانية دار تويفال 1994 ص16.

38- أدونيس : الأعمال الكاملة سابق ص59.

39- أميرة مطر : فلسفة الجمال أعلامها ومذاهبها الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 2002ص19.

40- أدونيس : الأعمال الكاملة سابق ص60.

41- أدونيس : دليلة ، ابن زيدون ، دمشق 1950ص6 .

42- أدونيس إذا قلت يا سوريا ، بيروت 1958 ص 27.

43- أدونيس : الأعمال الكاملة سابق ص 168 .

obeikan.com

44- أدونيس : نفسه ص500 .

45- أدونيس : إذا قلت يا سوريا سابق ص 117.

46-الكتاب أمس المكان الآن ، دار الساقي لندن 1995ص 251.

47- أدونيس : السابق نفسه ص304.

48- السابق نفسه : ص316.

49- نفسه ص100.

50- أدونيس : الأعمال الكاملة سابق ص283.

51- أدونيس : مفرد بصيغة الجمع ، ج2 دار العودة بيروت 1985 ص 663 .

52- أدونيس : الأعمال الكاملة سابق ص108.

53- أدونيس : الكتاب أمس ، المكان الآن سابق ص12.

54- نفسه : ص21.

55- نفسه : ص10.

56- نفسه : ص11.

57- أدونيس : : الأعمال الكاملة سابق ص 576- ص 577.

58- جاك دريدا: الكتابة والاختلاف ، ترجمة كاظم هلال ، دار تويفال للنشر 1988 ص117.

59- أدونيس : الكتاب أمس .. مرجع سابق ص35

60- نفسه : ص145

61- جاستون باشلار : شاعرية أحلام اليقظة ، ترجمة جورج سعد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت 1991 ص 160

obeikan.com

62- هيجل : علم ظهور العقل : ترجمة مصطفي صغوان ، دار الطليعة ، للطباعة والنشر بيروت 1981 ص35.

63- أدونيس : : الأعمال الكاملة سابق ص 211.

64- أدونيس : الكتاب أمس .. سابق ص154.

65- ادونيس : الأعمال الكاملة سابق ص 60.

66- جورج سانيتانا : مرجع سابق ص130.

67- نفسه : ص 130.

obeikan.com